

سيرة الأعدام السياسى فى السودان

١٨٢١ — ١٨٩٨

محمد عبد الخالق بكري

الطبعة الأولى
القاهرة

- ١٩٩٨ -

رقم الإيداع

٧٠٤٤ / ٩٨

الشركة العالمية للطباعة والنشر

الخرطوم - عمارات الإمارات

القاهرة - جداول المحاسبة ت: 3515433

امداد

الـ _____ ؟ _____
لـ بـ و بـ سـ يـ حـ طـ بـ تـ حـ اـ و و حـ
والـ أـ مـ عـ زـ يـ زـ اـ لـ سـ مـ اـ نـ
والـ زـ و جـ تـ نـ اـ لـ حـ لـ سـ يـ نـ
مـ عـ مـ بـ تـ و مـ عـ زـ تـ

مـ مـ حـ عـ بـ اـ لـ مـ اـ لـ قـ

تقديم

يواجه الباحث السوداني المعاصر مشكلة الكتابة في موضوع جديد تماماً لم يعالج من قبل أو يحتاج لطريقة جديدة في المعالجة. فهذه صعوبة متجددة للفكر أن ينتج موضوعات أصيلة بمعنى أنها تعكس قدرة الباحث على الابتكار والتجديد، وألا يقلد. فالتقليد ليس ابداعاً بل إعادة انتاج للموجود أصلاً. لذلك حين عرض على الصديق الباحث محمد عبد الخالق مخطوطته التي عنوانها: (سيرة الاعدام السياسى في السودان ١٨٢١-١٨٩٨) شعرت بسعادة لان الموضوع جديد ثم بعد ذلك لمست الجدة في تناول أيضاً. لذلك، اعتقد أن مبدأ اقتحام الشباب لميادين ومجالات بحثية مختلفه هو في حد ذاته بشاره لتقدم البحث في السودان. فقد دأب الكثيرون في السابق على أن «يقتلوا» موضوعات محددة بحثاً». وبالفعل تقتل وتأتى ميتة بلا روح وابداع. ولكن مثل الموضوع الحالي الذي بين يدي القارئ يتميز بالمغامرة والاقتحام وطرق درب غير ممهد ولا معبد. ورغم صعوبة الحصول على المراجع والوثائق، فقد قدم الباحث محاولة جيده لرصد سيرة الاعدام السياسى في السودان خلال سبعين عاماً. ويمثل بداية ومفتتحاً في موضوع شائق وشائك.

يفتح مثل هذا البحث الطريق إلى معالجة قضايا تبدو بعيدة عن الاهتمام الاساسى للكتاب، فالاعدام ووسائله تعبير عن جوانب معينة في الثقافة تساعد في فهم ثقافة أو شخصية شعب معين. هل هو عنيف أم متسامح أم محب للحرية؟ هل هو شعب شجاع أو متهور أو صبور؟ كذلك

من خلال موضوع الاعدام قد نستثف المواقف من قضايا سياسية ودستورية مثل الموقف من الديمقراطية وحقوق الانسان ومن دعوات مثل الغاء عقوبة الاعدام وإلى أى مدى يستطيع تطور مجتمع ما ان يقبل مثل هذه الدعوة.

يضاف إلى ذلك موقف المجتمع من العقوبات أصلاً هل هي للردع أم للانتقام أو الإصلاح؟ لذلك فمثل هذا البحث ينتهى وقد بدأت رؤوس مواضيع لأبحاث أخرى تظهر من بين صفحات البحث.

إن محاولة الباحث محمد عبد الخالق كما لمح صاحبها في المقدمة تعد القارئ بمتابعة الفكرة وتعميقها.

وقد يتوقع القارئ مستقبلاً أن تذكر ملابسات اصدار الاحكام والحيثيات ثم ردود الفعل فهل ينتهى الامر دائماً بالاعدام الا يكون للمسألة ذيلها القبليّة والعشائرية وحتى الدينيّة والطائفية مثلاً؟ هل توجد حالات لاعدام لم يتم في اللحظات الاخيرة مثلاً؟ هل يمكن ايراد الوصف النفسى لبعض حالات من نفذ عليهم الاعدام؟

إن القارئ موعود بكتاب جريء ومقتحم وسيجد فيه معلومات جيدة عن ممارسات الاعدام السياسى في السودان خلال القرن الماضى. واعتقد أنها بداية جيدة للصديق محمد عبد الخالق لكى يلج الاركان المجهولة في التاريخ السوداني وهو قادر بالمثابرة ان يحقق الكثير في هذا المجال.

د. حيدر إبراهيم علي

المقدمة

يهتم هذا البحث برصد وتتبع سيرة الاعداد السياسى والتصفيات الفردية و الجماعية التى مارستها السلطة فى الفترة من ١٨٢١ إلى ١٨٩٨م. فهو بحث عن عنف السلطة - أيا كانت أجنبية أو وطنية - فى مواجهة السكان. فالسلطة أيا كانت، فى بحثها عن التوطيد والديمومة تعتمد إلى الأباداة والتنكيل.

والإعدام بما أنه وضع حد لحياة الإنسان تحكيميا إنما يمثل قمة ممارسة هذه السلطة، قمة ممارسة الحكم، وقمة ممارسة العنف.

والبحث فى تتبعه لحالات الإعدام والتصفيات يحاول الوقوف على طبيعة التهمة الموجهة للمعارض أو المعارضين وكيفية صياغتها، ويحاول الوقوف على ملابسات الحكم، والجهة التى أصدرته. كما يسعى إلى تتبع طريقة تنفيذ الأحكام ووسائل الإعدام والاته والتقاليد العقابية التى تم تطبيقها.

وقد لا توفر لنا المصادر فى كل حالة على حدة الإجابة على كافة هذه المسائل فنحاول قدر المتاح من تجميع الحالات الإجابة عليها.

ويهتم البحث اهتماما خاصا بمعاملة جثمان وأحداث ضحايا أحكام الإعدام والتصفيات، فإذا كان القتل وإنهاء الحياة يمثل قمة ممارسة سلطة القهر والإخضاع فإن المثلة (التمثيل بجسمان المعدم) والعبث به يمثل استمرار لسلطان الحكومة على جسد المعارض وتوظيفه فى اشاعة حالة الإرهاب وتعميقها وضرب (المثل والعظة) فى تقديرها.

هذه الحلقة من تاريخ السودان - الإعدام السياسى - تتجمع فيها كثير من الأوردة والشرابين وتتخثر حولها عقدة التقاء العديد من الخيوط المحركة لتاريخ السودان فى الفترة محل البحث. فحكم

الإعدام يعد قمة المواجهة بين السلطة والفرد أو مجموعة معينة، ويمثل القمة التي لا ترى السلطة بعدها أن الحياة تسعها هي وخصمها فتعتمد إلى أقصائه نهائيا عن طريقها، فالإعدام معبر عن نهاية صراع أو على الأقل مرحلة من مراحل.

وتكشف لحظات المواجهة هذه عن سمات وملامح أساسية في طبيعة كل من السلطة ومعارضتها وهذا البحث وإن عنى بطبيعة الحال بالمعارضة والمناهضة للحكم، ألا أنه يستبعد من دائرته حالات الحرب الثورية الواسعة وشهادتها في المعارك إلا في حدود ضيقة وهي حالة معاملة الأسرى والسجناء نتيجة هذه المواجهات كذلك حالة ومعاملة اجساد القتلى في المواجهات. ومن باب أولى أن يستبعد أيضا ضحايا حروب الغزو واحتلال البلاد.

وإذا كان البحث ينصب على ممارسة السلطة للحكم فإنه يكف عن معاملة المعارضين كمعارضة بمجرد أن يستلموا زمام الأمر في مكان ما ويتحولوا إلى ممارسة السلطان، ويظهر ذلك في حالة المدن المحاصرة، فيحتل المحاصرون موقع الثوار وهم على أسوار المدينة إلى أن تسقط في أيديهم وتنتهى السلطة السابقة، فتدخل عندئذ ممارستهم في دائرة ممارسة السلطة. أو في حالة الممارسات العقابية قبل أن تستقر السلطة نهائيا في أيديهم.

وعمدت إلى تصنيف ودراسة الإعدامات التي تجمع بينها خصائص نوعية معينة وترتكز هذه الخصائص إما على مسلك السلطة وسياستها العقابية أو علي طبيعة الأشخاص والمجموعات من ضحايا الأحكام. وكثيرا ما يتداخل معيارا التصنيف هذان في سير الدراسة.

والبحث بشكله الراهن لا يستوعب جميع حالات الإعدام السياسي وإنما قصد منه إلقاء بعض الضوء على هذه السيرة في السودان، ولعل الحظ يسعفنا في متابعة البحث في هذا الجانب لتغطية حقبة تالية للتاريخ الذي تقيدت به الدراسة.

القسم الأول

الإعدادات والتطبيقات
في
دولة التركية

السمات العامة للسياسات العقابية فى الحكم التركى

نستطيع أن نقول أنه طوال سنوات الحكم التركى فى السودان ١٨٢١ - ١٨٨٥ لم تحكم أى مبادئ حقوقية أو قانونية واضحة مسئولية الأفراد عن أفعالهم المناهضة للسلطة.

فقد ساد اضطراب عظيم تحديد التهمة وصياغتها حتى السنوات المتأخرة للحكم التركى، فأحيانا يتم توقيع أقصى درجات العقوبة على بعض المعارضين الذين لعبوا أدوارا محدودة ويتم إعفاء ذوى الأدوار الأكبر مراعاة لتوازنات سياسية، بل فى كثير من الأحيان يتم توقيع أقصى درجات العقاب مع إنعدام أى تحديد لتهمة سياسية أو عصيان.

ولعل متابعة أول الإجراءات العقابية المتخذة بعد تسليم سنار عاصمة السلطنة الزرقاء يعكس بداية هذا الإضطراب.

كان أول حكم ينفذ بالإعدام بالرفع على الخازوق قد نفذ فى حق عبد الله بخيت وادريس ود عقيد^(١) وكانت جريمتهم الإشتراك فى قتل الوزير محمد ود عدلان وزير السلطنة وذلك بتحريض من حسن ود رجب الذى كان له ثأر على الوزير لقتل الأخير شقيق محمد ود رجب.

ومما يدفعنا إلى وضع هذا الإعدام فى تصنيف الإعدام السياسى إن الغرض منه كان سياسيا فى المقام الأول. فهو لم ينفذ قصاصا إذ أن

(١) نعوم شقير (٢٠٢)، مكي شبكية السودان فى قرن ص ٢٨ / مكي شبكية السودان عبر القرون ص ٩٤.

المحرض الرئيسى على الجريمة حسن ود رجب لم ينفذ عليه الإعدام بل
بقى مسجوناً لفترة ثم أطلق سراحه. ولا نظن أن إسماعيل باشا كان
حريصاً على إنصاف دم الرجل القوى الوحيد فى سنار الذى كان يعد
العدة للقاءه وهو صاحب العبارة المشهورة فى رسالته لإسماعيل (لا
يغرنك انتصارك على الجعليين والشايقية فنحن الملوك وهم الرعية الخ) إنما
قصد الإعدام بهذه الصورة المروعة لبث الرعب فى سكان البلاد وإظهار
هيبة السلطة الجديدة فى العاصمة المفتوحة.

وكما أشار مكى شببكة أن إعفاء إسماعيل للمحرض يتضمن
امتثانه لتخليصه من خصم عنيد متمثل فى شخص الوزير الذى بدأ
الاستعداد للقتال.

وتبين تنفيذ الاحكام فى غياب تهمة فى حالة إعدام الحاج على ود
تمساح شنقا^(٢) فقد كان الحاج على منافساً للملك نصر الدين على ككر
الميرفاب ويبدو إنه قد نال مكوكية الميرفاب فى تنافسه مع الملك نصر
الدين. وعند وصول الجيش إلى بربر استقبله الملك نصر الدين وسيق على
ود تمساح أسيراً إلى سنار حيث تم تنفيذ الإعدام عليه شنقا. فقد كان
الملك نصر الدين من الأعيان السودانيين الذين ذكر أنهم غادروا إلى مصر
والتقوا بمحمد على باشا ودعوه الى فتح السودان وقيل أنه غادر خصباً
الى مصر ليستعين بمحمد على على منافسه على ود تمساح.

ومن الواضح أن الحاج على ود تمساح قد قتل نتيجة هذا الإتفاق،
فهو لم يرفع سيفاً فى مواجهة الحكم الجديد. وإنما قتل تصفية لحسابات
سابقة للغزو.

ويتجلى غياب تحديد التهمة فى عدد من السمات البارزة انتظمت

(٢) مخطوطة كاتب الشونة ص ٨٨ / تاريخ ملوك السودان ص ٢٥ / رتشارد هل
مصر فى السودان ص ١٠.

أداء السلطة فى تنفيذها لسياسة العنف ضد السكان . وتتلخص هذه السمات فى الأتى :

- ١ - الإبادة الجماعية .
 - ٢ - الإعدام أو الإغتيال الوقائى .
 - ٣ - القتل بالشبهة .
 - ٤ - أخذ البرىء بذنب المذنب (النيل من أهل المعارض وأقاربه)
- وستتناول تباعاً هذه السمات .

أولا الإبادة الجماعية

إتسمت العقود الأولى للحكم التركى بميل الحكام الجدد إلى الإبادة العنيفة التى تطال جماعات واسعة من السكان . ولعل السودان لم يشهد طوال تاريخه الحديث والقديم مثملا شهد إبان حملة الدقتردار الإنتقامية بعد مقتل إسماعيل باشا فى ديسمبر ١٨٢٣ م

ففى وصفه لبداية الحملة ذكر المؤرخ السودانى أحمد بن الحاج أبو على كاتب الشونة (ولما جاوز دار الجميعاب وضع يده بالقتل والخراب، وخرب تلك المدائن وعدم فيها القاطن والساكين .) وفى استمرار القتل يذكر "ووضع يده بالخراب ثانيا فما ترى بها أنيسا ولا تسمع بها حسيسا من حد شندى إلى كترانج .) (٢).

وقد ذكر كاشف المتمة بعد عامين من المجزرة لـ « بروكشى » أنه يقدر عدد القتلى ب ٥٠٠٠٠ نفس . (٤) ومهما كانت التقديرات فإنه من الثابت أن عدد الضحايا كان كبيرا وقد أدى العنف إلى هجرات واسعة ونال العقاب مجموعات قبلية وافراد لم يشاركوا أصلا فى الإنتفاضة .

(٢) مخطوطة كاتب الشونة / أحمد بن الحاج على / تحقيق الشاطر بصيلى ص ٩٢ .

(٤) رتشارد هل (مصر فى السودان) ص ١٨ .

ومن المجموعات القبلية من غير الجعليين التي نالت نصيبا وافرا من
غضبة الدفتردار الحسانية. فقد اجتمعوا بالجزر التي على النيل تنحيا عن
طريقه، فوصل إليهم على الأرمات وأوقع بهم مجزرة هائلة. (٥) كما نكل
بالشكرية وجل الهمج وأحرق شندى وتوتى والحفاية والعيلفون وقتل
أهلها تقتيلا.

ومما يعزز الاعتقاد بنية الدفتردار في الإبادة الجماعية متابعة المصير
الذى واجهه أسرى هذه المطاردات والملاحقات، فقد نتج عن مجزرة
المتمة ٢٠٠٠ قتل وثلاثة آلاف أسير قتلوا عن آخرهم. (٦) وقتل حرقا
من لجأ إلى خلوة الشيخ الفقيه أحمد الريح (٧).

وبعيدا عن مسرح الحدث على النيل الأبيض نفذ حسين أغا
جوخدار حكما غربيا على ٧٢ رجلا من الجعليين كان قد أمنهم. إذ تقدم
أحد العساكر طابا شخص يدعى الفقيه فضل الله بثار أخيه لأنه تسبب
فى قتله. فأمر جوخدار بحبسهم جميعا. ولما لم يجد الرجل بينهم قطع
أيديهم جميعا فمات معظمهم (٨).

أما أسرى واقعة النصب فقد عاد بهم الدفتردار الى أم عروق
جنوب ودمدنى وقد جمعهم فى زريبة من الشوك وتركهم تحت الشمس
لايظلمهم شئ وأجرى عليهم الماء بالجداول فمات أكثرهم من شدة
الكرب (٩).

أما أسرى واقعة (مكدور) بين المك مساعد والدفتردار فلم يكونوا

(٥) مكى شببكة السودان عبر القرون ص ١١٠ / السودان فى قرن ص ٣٥ .

(٦) مكى شببكة / السودان عبر القرون / ص ١٠١ .

(٧) كاتب الشونة ص ٩٢ / نعوم شقير ص ٢٠٩ / مكى شببكة السودان فى قرن
ص ٣٥ / تاريخ ملوك السودان ص ٢٤ .

(٨) كاتب الشونة ص ٩٣ / نعوم شقير ص ٢١٠ .

(٩) نعوم شقير ص ٢١٠ / كاتب الشونة ص ٩٤ / تاريخ ملوك السودان ص ٢٥ .

أسعد حظا حيث أسر حوالى سبعة آلاف مات منهم الكثيرون فى الطريق بالجوع والعطش (١٠).

هذا فيما يتعلق بحملة الدفتردار الإنتقامية فقد حمل البلاد وقاطبيها دون تمييز دم اسماعيل باشا ودشن ارهاب السلطة بهذه الإجراءات الممعة فى وحشيتها .

وبدأت موجة جديدة فى الإبادة فاتحة لعهد عثمان بك جركس وذلك من خلال حملة قاسية لجمع الضرائب قال عنها كاتب الشونة "وأزعج فيها البلاد وضاعت العباد وفرقوا عليهم المطلوب وخرجت الحوالة واشتد الكرب وأحاطوا الحلالات وخلصوا المطلوب وظهر الجمرك . " (١١) وقتل عثمان جركس فى هذه الحملة أعداد كبيرة من سكان الجزيرة، وكانت سببا فى هجر الأوطان والهرب من وجه الحكومة" وهرب الناس إلى نحو القضايف فلحقهم إبراهيم أفندى فقتلهم مقتلة عظيمة . ولما كثر فيهم القتل طلبوا الأمان فصاروا يجمعونهم حلقا حلقا ويقتلونهم . " وقال نعم شقير "كانت مدة عثمان بلاء ذهب فيه نحو نصف السكان من المرض والقحط والقتل والظلم" (١٢).

وأحدث خورشيد مذبحة كبرى فى ديار الشلك عام ١٨٣٠ وقتلهم مقتلة عظيمة ما سمعت فى أوائلهم إلا واقعة المك بآدى أبو رباط بهم (١٣).

وفى إقليم التاكا ارتكبت كثير من الآثام حتى قتل جميع الأسرى على مرأى من أبو ودان باشا والمنكلى باشا حتى لقب الأول بالباشا الجزار . "ويبدو أن هذه القسوة كانت بالغة حتى لقد خشي الباشا أن

(١٠) مكى شببكة السودان عبر القرون ص ١٠٣ .

(١١) مخطوطة كاتب الشونة ص ٩٧ .

(١٢) المصدر السابق ص ٢١٣ .

(١٣) المصدر السابق ص ١١١ .

تتسرب أخبارها الي الخارج ففرض رقابة على المكاتبات المرسلة وصار
يعدم منها ما لا يتفق مع أغراضه (١٤).

وهكذا نجد فى إطار حملة الإبادات الجماعية تغيب أى صياغة
لقانون الدولة أو الخروج عليه. وإنما تعامل البلاد وجميع رعاياها كأرض
حرب يحكمها الحديد والنار.

ثانيا : الإعدام والإغتيال الوقائي

عمدت الحكومة التركية فى حالات عديدة إلى إعدام أشخاص
لمجرد احتمال تشكيلهم خطرا على السلطة فى المستقبل. وفى هذه الحالة
يغلب على ممارسة السلطة السلوك التأمري وبالطبع لا يتعرض المعارض
المحتمل الى أى تهمة أو يخضع لمحاكمة، وإنما يؤخذ على حين غرة وينفذ
عليه حكم الإعدام أو الإغتيال فى بعض الأحيان.

وكان إسماعيل باشا أول من استن هذه السنة فى الحكم التركى
فكان أن أشيع أن إسماعيل باشا قد قُتل فى جبال فازوغلى، فتحرك أهل
سنار للثورة تخلصا من عبء الضرائب التى فرضت عليهم فأسرع عائدا
الى سنار وهدأ البلاد ولم يقتل أحدا إلا ود عجىلاوى .

لكن بعد مضى فترة من الزمن قدر أن النار تحت الرماد وما زال
بعض الرؤوس يترقبون الفرصة لإضرارها . فأرسل إسماعيل باشا بعض
العساكر فقتلوا رجب ود عدلان على فراشه وأتوا بأخيه على أسيراً إلى
ود مدنى فقتل شنقا (١٥) بقتله لم تعهد فى البلاد (١٦).

ويبدو أن الأخوين أبناء عدلان قد قدرت السلطة مجرد انطوائهما

(١٤) السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الإستقلال (١٨٢١-١٩٥٣) د. زاهر
رياض ص ٦٨.

(١٥) نعوم شقير ص ٢٠٨ .

(١٦) كاتب الشونة ص ٩٠ .

على الخطر، ولم تتح لهم فرصة للتحرك ولم تنقل المراجع ذكر أى تحرك لهما فى قيادة الناس ضد السلطة فى سنار. ويبدو من طابع اغتيال رجب على فراشه الصيغة التأميرية فى هذه الممارسة.

ونال الاغتيال الوقائى حتى حلفاء السلطة، وذلك عندما تشعر أنهم باتوا يشكلون خطرا عليها، وهذا ما فعله أحمد باشا أبو ودان بالملك كمبال بن المك شاويش أحد زعماء الشايقية حيث كلف أحد جنوده باغتياله من الخلف (١٧).

وتبدأ القصة عندما حاول أحمد باشا فرض سياسة ضريبية جديدة على الأراضى التى حازها الشايقية بين الخرطوم وشندى بعد أن طرد العبدلاب والجعليلين منها فى أعقاب حملة الدفتردار. فقد أعفى خورشيد الشايقية من ضريبة هذه الأرض لأنهم يعملون فرسانا فى الجيش كما كانت الحكومة توفر لهم حصة شهرية من العلف لخيولهم. فأصر أحمد باشا بعد تسلمه للسلطة على نسخ كل هذه الحقوق والزامهم بدفع ضريبة الأرض بأثر رجعى ولم تجدى مفاوضات زعماء الشايقية مع الباشا فرضحوا للأمر عدا أحد الزعماء وهو المك حمد الذى جمع مئتين من رجاله وحرق الزرع وخزبه وهرب برجاله وأسرههم.

وقد أتعب المك حمد أحمد باشا فيما تعب وألحق به الكثير من الخسائر وقتل الكثير من رجاله الأتراك والمغاربة. وفى أثناء مطاردته له كان الباشا يصطحب المك كمبال ورجاله، فخاف أن ينضم المك كمبال إلى قريبه المتمرد فأمر جنديا مغربيا يجيد الرماية بالاختباء فى مكان لإطلاق النار عليه واغتياله. ففعل المغربي ما أراد من خلف شجر كثيف كان يمر من خلاله المك كمبال فأصاب منه مقتلا من مسافة قريبة (١٨)

(١٧) على تخوم العالم الإسلامى / حقبة من تاريخ السودان ١٨٢٢ - ١٨٤١ الجزء الأول ترجمة عبدالعظيم محمد أحمدعكاشة ص ١١٢ وما بعدها .
(١٨) المرجع السابق ص ١١٧ .

وقد أخترفت الرصاصة ضلوعه... ثم توفي بعد ساعتين. وفى رواية أخرى ذكر ويرن فى « جولات أفريقية الجزء الثانى ص ١٧٧ » (١٩) أنه قد قام بطعن كمبال من الخلف أحد مشاة (٢٠) أحمد باشا.

وهكذا كانت نهاية كمبال فى شتاء ١٨٢٩ - ١٨٤٠ بغير ذنب جناه سوى احتمال بعيد بانضمامه الى قريبه المك حمد. ومما يثير الدهشة حقا أن الباشا حمد أبو ودان قد عفا عن المك حمد فى نهاية الأمر عندما تمكن الأخير من الإفلات إلى حدود الحبشة فآمنه بعد وساطة بعض الشيوخ وعاد معه إلى العاصمة.

وهناك نموذج آخر يمثل أقصى ما يمكن أن تتخذه الحكومة من ضربات وقائية وهو ما حدث لبعض أقارب الشيخ سليمان بن أبى روف زعيم قبيلة رفاعة عام ١٨٤١، فقد أشيع أن سليمان قد مات مسموما وأن للحكومة يد فى قتله فثارت موجة من التذمر والسخط بين أفراد القبيلة، وصار التنقل فى منطقتهم محفوفًا بالخطر رغم أن رجال القبيلة لم يتعرضوا لأحد بسوء. فوجه أحمد باشا فرهاد بك بوضع حد لهذا التمرد. فتوجه فرهاد الى الروصيرص وصار يتحرى عن الأمر حتى وقف على الحقيقة كاملة فشرع فى الحال فى استدعاء أقرباء سليمان تحت وعود كاذبة وعندما حضروا جميعا أوثقهم بالقيود وقتل منهم سبعة رجال (٢١).

ولم تكف الحكومة عن استعمال هذا النوع من الضربات الوقائية حتى وهى تلفظ أنفاسها فى أيامها الأخيرة إبان حصار الخرطوم. فقد كان يقيم منفيا بالخرطوم أحمد العوام أحد خطباء الثورة العرابية وكان

(١٩) المرجع السابق .

(٢٠) ذكرت بعض المصادر مقتل كمبال دون تفاصيل . تاريخ ملوك السودان ص ٣٣ / نعوم شقير ص ٢٢١ .

(٢١) على تخوم العالم الإسلامى الجزء الاول ص ١٤٢ - ص ١٤٣ .

مشايعاً للثورة عاطفا عليها، وقد أعلن انحيازه الواضح للثورة المهدية فى رسالته المسماه (نصيحة العوام) وكان العوام رجلا شديد الشجاعة لا يخاف. وكان يجاهر بعدائه للحكومة على مرأى ومسمع من غردون. وأثرت أقواله فى الناس فسجنه غردون ثم عفا عنه وأطلقه ووظفه معاونا للحكمدارية، ولكن واصل أحمد العوام تحريضه وتهيبجه للناس فلفقت له تهمة تحريض امرأة على رمى جمرة نار فى مستودع الذخيرة فأمر غردون بقتله فقتل فى سراى الشرق^(٢٢) وكان ذلك عام ١٨٨٤ م

ويبدو أن غردون قد ضاق به ذرعا ولم يجد سبيلا للوقاية مما يترتب على جرأته فى المعارضة إلا وقد طرده فقد سجنه ولم يجدى فتىلا وأكرمه فلم يجدى، فيبدو أن الطبيعة الثائرة للعوام قد غلبت على عطف غردون. أما اتهامه بتحريض امرأة على اشعال النار فى مخزن الذخيرة فهو أمر لا يمكن تصديقه. لأن ذلك يتنافى مع تكوين رجل يملك كل هذا القدر من الشجاعة والجرأة وهو الذى وجد فى منفاه ميدانا جديدا للثورة ضد الظلم، فنرى أن مثل هذا الرجل لو أراد نسف مخزن الذخيرة لفعل ذلك بنفسه دون الحاجة إلى تحريض امرأة ولكنه اختار لنفسه دور المحرض والمشير وكان يهدف إلى الإقامة بين سكان الخرطوم المحاصرين مؤديا هذا الدور الذى ارتضاه لنفسه فلم يكن أمام غردون إلا إعدامه

ثالثاً / الإعدام بالشبهة

ترتكز حرية التصرف غير المحدودة للولاة الذين تولوا أمر السودان فى فترة التركية السابقة على السلطات الممنوحة لهم من قبل الوالى فى مصر. فبين أيديهم تجتمع كل السلطات العسكرية والمدنية وحق التصرف المطلق فى الأرواح دون رقابة قضائية على تصرفاتهم. ولعل

(٢٢) نعم شقير ص ٤٩٧ / مكى شببكة السودان فى قرن ص ٢١٥ / رتشارد هل ص ١٦٤ / مكى شببكة السودان عبر القرون ص ٢٨٦ .

ما يسمى سلطانا على القتل والعفو الذى أشير إليه فى فرمان ولاية غردون الأولى فى ١٧ / فبراير ١٨٧٧ قد تمتع به كافة اسلافه من الحكمداريين السابقين. إلى أن حدد نطاقه فى فرمان تولية رؤوف باشا حيث جاء فى صلب فرمان : ... ثم أن الرخصة التى كانت ممنوحة لأسلافكم بتنفيذ ما يصدر من الأحكام شرعية كانت أم سياسية فى المواد القضائية الحقوقية والجنائية قد أبقيناها لسيادتكم وعهدتكم أيضا ما عدا أحكام القصاص الواجب استحصال أوامرنا عنها (٢٣) وكما نرى أن تحديد الاستثناء يقتصر فقط على أحكام القصاص.

ويمكن أن نلمس الحدود المطلقة لسلطة الحكمداريين فى أنه لم تكن هناك حاجة لاقامة محاكمات فى الشؤون السياسية، وقد كان يكفى إصدار أمر بالإعدام ينفذ فى الحال دون مراجعة مثلما أمر عثمان جركس وكيله فى الخرطوم عثمان أغا الخربوطلى بإعدام الفقيه الارباب ود الكامل بقنبلة المدفع (٢٤). وقتله للشيخ عبدالله عمر أيضا بقذيفة المدفع بعد أن أتاه مسلما وقتله لعدد من الرجال فى ود مدنى بنفس الطريقة (٢٥).

وعلى هذه الخلفية يمكننا أن نفهم أن الاعدام لمجرد الإشتباه دون أدلة قاطعة كان وارد الحدوث، فمجرد أن يصل الحاكم إلى قناعة شخصية بإدانة أحدهم دون إجراءات تثبت أو استدلال يمكنه أن يصدر أمرا بالقتل. وفى هذا الشأن نذكر الحادث المأساوى الذى راح ضحيته رجل برئ دون جريمة ارتكبها إلا وهو شيخ الهالالية الذى شنع نتيجة هذا

(٢٣) نعم شقير ص ٣٠٨ .

(٢٤) كاتب الشونة ص ٦٧ / قاموس رتشارد هل ص ٥٩ أورد أن من قتله هو الدفتردار .

(٢٥) المرجع نفسه ونعم شقير ص ٢١٢ / تاريخ ملوك السودان ص ٢٩ / أيضا تطرق رتشارد هل للقتل بالمدفع فى كتابه مصر فى السودان ص ٢٠ .

النهج . وتتلخص الحادثة فى أنه وأثناء تتبع أحمد باشا لآثار المك حمد المتمرد كان يمر هو والشيخ أحمد أبو سن قرب الهلالية فقال أبو سن لأحمد باشا وكان له ضفائن قديمة مع شيخ الهلالية : - (أن السكان يتداولون حديثا مفاده أن ذلك الشيخ خرج لاستقبال المك حمد عند مروره بالقرب من القرية وشوهد أيضا يتحدث إليه حديثا طويلا فى الحفاء وأضاف أبو سن أن للشيخ المذكور نفوذ كبير فى قريته والقرى المجاورة الأمر الذى مكّنه من تحريض الأهالى على الثورة على الحكومة . فما كان من أحمد باشا إلا أن اعتقل الشيخ وأرسله مقيدا إلى فرهاد بك فى ودمدنى بخطاب يبين جريمته ويأمر بشنقه فورا).

وعندما تسلم فرهاد الأمر اندهش لأنه يعرف أن المك حمد قد تفادى المرور بالمنطقة أصلا واتخذ طريقا محاذيا لنهر عطبرة وليس النيل الأزرق . فماتل فى تنفيذ الأمر وطلب إعادة الأمر عدة مرات بحجج مختلفة إلى أن أرسل له الباشا أمرا صارما بالتنفيذ فما كان منه إلا أن نفذ الحكم كارها . وكان أن ظهرت براءة الشيخ بعد فوات الأوان (٢٦) .

وهكذا كان مجرد الشك كفيلا باطاحة الرؤوس ولعل إعدام سليمان بن الزبير وأعمامه بعد تسليمهم فى يوليو ١٨٧٩ من أبشع جرائم السلطة التى بنيت على مسوغات واهية لم تلق أى عطف من كافة المؤرخين حيث انطوت على قدر ملحوظ من الغدر واستندت على وشايات لا قيمة لها خاصة وأن تصرفات السلطة كانت السبب الواضح وراء تمرد سليمان بن الزبير .

فكان أن سلم سليمان إلى جسى ومعه ٧٠٠ رجل من ضمنهم ثمانية من أقاربه فناداهم جسى فى اليوم التالى للتسليم إلى

(٢٦) على تخوم العالم الإسلامى / الجزء الأول ص ١١٨ - ١١٩ .

خيمته وسقاهاهم القهوة وكان قد أوعز إلى بعض الجنود بإحاطة الخيمة ثم خرج منها فدخل بعض الجنود وأوثقوا سليمان وأقاربه وجعلوهم صفا واحدا خارج الخيمة ووقفوا خلفهم ورموهم بالرصاص فانكبوا على وجوههم (٢٧).

وكان تنفيذ هذا الحكم دون أى محاكمة وبنى على أساس أن سليمان كان ينوي الهرب وإنما تسليمه مجرد خدعة. وهكذا يتضح أن جسى وغردون كانا أصلا قد بيتا النية لتصفية سليمان وأقاربه تحت حجة الهرب. وربما كانا يتسترا خلف الهدف (الأسمى) فى محاربة الرق. ويبدو لنا ذلك فى المصير المماثل الذى لقيه القادة الذين رفضوا التسليم مع سليمان، حيث تم اصطيادهم جميعا عدا رابح وتم تنفيذ الإعدام من قبل مسادالية بك فى الفاشر عملا بأمر جسى وهم، أبو القاسم من المجاذيب وموسى جلى، وادريس سلطان ومحمد فضل، وعبدالبين الأسود.

وقد شهدت السنوات الأخيرة للحكم التركى فى السودان هذا النوع من الإعدامات التى تركز على الشبهة فقط مثلما حدث إبان الثورة المهدية لبعض كتبة سنار الذين اشتبه فى أن لهم اتصالات بالمهدى وكان نتيجة هذا الإتهام أن سيقوا إلى الخرطوم حيث تم إغراقهم فى النيل الأبيض وكان من بينهم الزبير ود ضوة الذى سبق وأن تولى أرفع المناصب فى الحكم التركى (٢٨) وكان ذلك فى يونيو ١٨٨٢.

وفيما يخص الزبير عبد القادر ود الزين المعروف بالزبير ود ضوة

(٢٧) نعوم شقير ص ٣٠٢ / مكى شببكة السودان فى قرن ص ١٢٨ مكى السودان عبر القرون ص ١٩٨ / قاموس رتشارد هل ص ٣٥٠ / محمد فؤاد شكرى الحكم المصرى فى السودان ص ٢٢٠.

(٢٨) أورد نعوم أنه أتضح لعبدالقادر باشا تواطئهم مع الثورة ص ٢٥٦. بينما ذكر هل فى قاموسه أن عبدالقادر باشا شك فى اتصاله بالمهدى ص ٣٩٠.

هنالك رواية أخرى تذكر أن الزبير قد تم استدعائه للخرطوم ومن ثم أودع السجن ثم قتل في السجن وفي نهاية الأمر سواء قتل الزبير بإغراقه بواسطة العساكر في النيل الأبيض أو في السجن فمن الثابت أنه أعدم بواسطة الحكمدار عبد القادر باشا الذي تولى نظارة السودان بالإضافة الى الحكمدارية.

والزبير ود ضوة عالم جليل قام بمتابعة كتابة تاريخ السودان على نهج كاتب الشونة أحمد بن الحاج أبو علي ورصد حوادث زمانه وسجلها في المخطوطة التي حققها ونقحها مكى شببكة تحت عنوان تاريخ ملوك السودان. كما أنه تولى منصب شيخ المشايخ خلفا لأبيه عبد القادر ود الزين كما عمل في القاهرة لبعض الوقت معاونا في الداخلية.

رابعا : أخذ البرئ بذنب المذنب . ((النيل من أقارب الخارجين))

عندما بدأ نعوم شقير في تحليل أسباب اشتعال الثورة المهدية وانحياز الناس لها ذكر على رأس أهم الأسباب العنف^(٢٩). عنف السلطة تجاه السكان. وهو وإن حصر العنف في سياسة إسماعيل باشا وما ترتب عليها من اغتياله وحملات الدفتردار الانتقامية، إلا أن أهمية رأيه كمؤرخ تكمن في أنه مؤرخ من مؤرخى السلطة نفسها وغير متحامل عليها بطبيعة الحال.

وسياسة أخذ البرئ بذنب المذنب بدأت منذ حملات الدفتردار حيث لم يقتصر اقتصاصه على الجانين في قتل إسماعيل باشا بل عم غضبه المجرم والبرئ. كما عبر نعوم شقير. ولم تتوقف هذه السياسة في سنوات الحكم التركي التالية خاصة في وقت الأزمات السياسية. والمقصود منها في الأساس إضعاف مقاومة المعارضين من ناحيتين فعندما يتم النيل من أقارب المعارض يصاب بالبلبله وتضعف مقاومته. كما أنه من ناحية

(٢٩) نعوم شقير ص ٣٥٦ .

أخرى تضعف رصيد محتمل من العون للمعارض فى مجتمع يقوم على عصبية الدم. وعلى كل فإن النيل من أقارب المعارض كانت وسيلة ضغط كبرى فى تقدير الحكومة.

وقد استعمل غردون فى ولايته الأولى هذه الوسيلة للحد من حركة سليمان بن الزبير، حيث قام باعتقال أقارب الزبير ود رحمة الذى كان محجوزا فى القاهرة - وأودعهم السجن وشمل الإعتقال الشيوخ والنساء والأطفال كما صادر أموال الزبير وبيوته فى الجبلى والخرطوم.

كل هذا فى سبيل الضغط على سليمان وأبيه ووصل الحد بغردون أن أصدر حكما غيابيا على الزبير بالإعدام وصدق على هذا الحكم وأرسله للقاهرة للتنفيذ.

وقد كتب أحد أقارب الزبير الشاهدين على أحداث إعتقال النساء والأطفال خطابا للزبير ساردا فيه كافة التفاصيل فما كان من الزبير إلا أن ألحق الخطاب بعريضة ضافية مدافعا فيها عن نفسه ومطالباً بإطلاق سراح ذويه فاستجاب الخديوى له.

أما بخصوص حكم الإعدام الغيابي على الزبير فقد ردت السلطات فى القاهرة بأنه لا يمكن أخذ الأب بجريرة الإبن وقامت بإلغاء هذا الحكم^(٣٠). ولا يعلم المرء ما كان سيؤول إليه مصير الزبير باشا لو كان فى متناول سلطة غردون. ومما يلحظ هنا أن سلطات القاهرة قد تمتعت بإدراك قانونى فات على إدراك سليل (الماغنا شارتا) وممثلى الحضارة الأوربية فى عجلة الحكم الخديوى.

لكن هذه الصحوه القانونية سرعان ما تبددت تحت خطر ظلال سيوف المهديه وهى تدق بعنف قواعد النظام فى السودان. فعندما برز خطر المهدي وبدأت هجرة الناس إليه من كل مكان لتحقيق دعوته

(٣٠) مكى شبكة السودان فى قرن ص ١٢٨ .

ومبايعته خاصة بعد إنتصاراته الأولى على الحكومة، أصدرت الحكومة منشور إلي جميع الجهات تحذر فيه الناس من اتباع محمد أحمد المهدي والمهاجرة إليه وهددت من يخالف الأمر (بتصدير) ماله ومعاقبة أهله في غيابه .

وبالفعل ألقت الحكومة القبض على عامر المكاشفى شقيق الشيخ أحمد المكاشفى وذلك عندما هاجر الشيخ أحمد المكاشفى إلى المهدي، وزج بعامر فى السجن بسنار وتم تعذيبه والإعتداء على أفراد أسرته وحملته أهوالا إلى أن اقتدى نفسه بالمال وخرج من سنار ليرفع بدوره لواء الثورة ضد الحكومة ويقود عرب رفاة الهوى فى تمردهم .

ولم تنتهى نكبة أسرة المكاشفى عند هذا الحد ، فبعد أن انتصر صالح بك المك على عامر فى واقعة تيقو فى يونيو ١٨٨٢ اكتشف بين الأسرى جماعة من أقارب عامر فرفع أمرهم إلى الحكمدار عبد القادر باشا فأصدر أمرا بشنقهم فى الحال فشنقوا فى سوق سنار (٣١) .

ومما يذكر فى هذا الصدد ما قام به قلم مخابرات الجيش المصرى بعد رجوع حملة الإنقاذ وفشلها حيث التفت إلى أقارب المهدي فى دنقلا وقبض على جماعة منهم وهم محمد عبد القادر وشريف ساتى على ومحمد إبراهيم وأحمد النجيب وحاج شريف محمد نور وحاج شريف محمود وأمرهم بكتابة كتاب إلى المهدي يسألونه إطلاق سراح الأوربيين المأسورين وغيرهم من رجال الحكومة فدية لهم ، فرد المهدي إلى وكيل اللورد ولسلى رافضا العرض ولو قطعوا أقالبه الذين بين أيديهم إربا إربا . فما كان من الإنجليز إلا أن أطلقوا سراحهم وأكرمهم . ويبدو ان تطور الحس الإنسانى بمثل هذه الوسيلة واستهجانها وقوة الرأى العام وضعت حدا لهذه الممارسة .

(٣١) نعم شقيق ص ٣٥٦ .

١ / اعدامات الملحقيين بجهاز الحكومة من عسكريين ومدنيين

نتناول فى هذا الفصل عقوبة الإعدام التى تطبق على السودانيين أفرادا كانوا أو جماعات من الذين التحقوا أو تم إلحاقهم بجهاز الدولة الحاكم وتمردوا عليه فى صورة من الصور .

وقد كان نظام الحكم التركى قد أدمج فى تكويناته مجموعات من السودانيين عملت أقسام كبيرة منهم فى الجيش العامل بالبلاد أو فى الخارج كنتاج لخطة محمد على فى إعداد جيش نظامى من السود . وكان هؤلاء من الذين تم اصطيادهم فى حملات جلب الرقيق من قبل الحكومة أو تم شراؤهم أو دفعوا بدلا عن الضرائب وقد تقدم هؤلاء فى سلك الجندية ونال بعضهم رتبا عسكرية رفيعة فى الجيش المصرى وقد عرفوا بالشجاعة والإنصياح لقوانين الضبط والربط العسكرى وعمل بعضهم خارج حدود الإمبراطورية وأحرزوا سمعة طيبة للجيش المصرى كما حدث للأورطة التى عملت فى المكسيك تحت إمرة الفرنسيين .

أما فى الجانب المدنى فقد استعان الحكم التركى بالمكوك والمشايخ السابقين لدخول الجيوش الغازية وكون من هؤلاء جهازا مساعدا للحكومة وعلى وجه الخصوص فى تقديرات الضرائب وجمعها ، وكانت أهمية هؤلاء تكمن فى قوة نفوذهم وتأثيرهم على رعاياهم فى إطار الحدود الموكلة لهم ويعملون كليا تحت إمرة جهاز الحكومة وموجهاته .

ولم تسلم علاقة الحكومة بهاتين الفئتين من التوتر فى فترات

مختلفة وكان أن وصلت العلاقة فى بعض الأحيان إلى حد الصدام المسلح. وشهدت تمرداتهم ونفضهم ليد السلطة أحكام صارمة من قبل الحكومة وصلت إلى حد الإعدام. ونتناول فيما يلى بعض التمردات العسكرية والمدنية التى أخذت الطابع العسكرى.

أولا : تمردات العسكرين :

أ/ تمرد الجهادية السود فى كسلا ١٨٦٥ وإعداماتهم :

لاشك أن أشهر تمرد قد كان تمرد الجهادية السود فى كسلا سنة ١٨٦٥ فقد كان تمرد الالاي الرابع فى كسلا من السعة والتأثير بحيث حمل اسم (ثورة الجهادية السود) لدى بعض المؤرخين وقد كان هؤلاء حولى ٤٠٠٠ جندى خليطا من الدينكا والفور والنوبة والمولدين.

وبدأت القصة حينما خطر لمدير كسلا إبراهيم بك أدهم أن يرسلهم فى غزوة على جبال البارية والبازة وكان قد مضى عليهم ستة أشهر لم يقبضوا فيها مرتباتهم فرفضوا الإنصياح للأمر، ونتيجة لإصرارهم وتصلب القيادة فى معالجة الأمر تدهور الموقف فبدأوا بضرب أحد القادة وحملوا سلاحهم وخرجوا نحو سبدرات والتقوا بمجموعة من العساكر الباشبذق بمدفعين و ٦٠ صندوق جبخانة محملة على ٣٠ جمل فقتلوهم وضربوا قائدهم وكان ذلك فاتحة للكثير من المناوشات والمواجهات ولم يجدى تدخل الوجهاء والأعيان مثل السيد/الحسن الميرغنى إلا فى تهدئة الأمور لحين. وبلغ التدهور حدا دفع الخديوى إسماعيل باشا للتدخل بأن وجه جعفر باشا مظهر وكيل الحكمدارية لإخماد الثورة كما كتب شخصا للضابط السودانى آدم بك العريفى فى هذه الغاية، وكلفه بإنهاء التمرد بأقصى درجات الشدة والحزم.

وكان لتدخل آدم بك العريفى الأثر الحاسم فى إقناع المتمردين بوضع سلاحهم وقد استجابوا له حيث كان ذا نفوذ طيب على أبناء

جنسه من العسكريين ونتيجة لوعوده بالعمو وضمانه الشخصى وضع
المتطردون السلاح .

كانت الأحكام التى وجهت لهؤلاء المتطردين شديدة الوقع فقد
قسموا إلى ثلاثة مجموعات حسب مشاركتهم وحجمها . فحكم على
الفئة الأولى بالإعدام فأوثقوهم وصفوهم على خندق حفر لهم فى سفح
جبل مكرام وضربوهم بالرصاص ^(١) فسقطوا فى الخندق ثم ردم عليهم .
وحكم على الفئة الثانية بالحبس المؤبد مع الأشغال الشاقة وتم إعادة
استيعاب الفئة الثالثة .

وكان من ذوى الرتب الكبيرة الذين انحازوا للتطرد الصاغ محمد
أفندى أبا حظك فأمر جعفر باشا مظهر بشنقه فشنق وكذلك شنق
اليوزباشى بشير أغا السودانى .

وهكذا نرى الإهتمام الشخصى لإسماعيل باشا بالأمر نسبة لتعلقه
بأداة الدولة العسكرية وحرصه على إصدار أشد الأحكام على المتطردين
فقد جاء فى خطابه لآدم بك العريفى "وقد اتصل بى أن أفرادا من العصاة
يخرجون من الإستحكام الى البلاد يعيشون ويفسدون فتعقب هؤلاء
وجازهم أشد الجزاء وإذا خرج منهم جماعة كبيرة من مائة نفر إلى مئة
وخمسون فجرد عليهم نخبة من فرسان الباشبوزق الذين استصحبتهم
من الخرطوم ومن الجند المصرية المنظمة الذين اعتادوا هواء البلاد حتى
يظفروا بهم قتلوا أو أسرى . أما الأسرى فسلمهم إلى جعفر باشا ليفعل
فيهم رأيهم . وإنى أعلم بسالتك وحسن سياستك منذ كنت مع المرحوم
والدنا فى سوريا . فحقق أماننا بك وعند انتهاء الثورة أحضر الى مصر

(١) حول تمرد الجهادية السود أرجع : محمد فؤاد شكرى/ الحكم المصرى فى
السودان ص ٧١ / نعوم شقير ص ٢٣٧ / مكى شببكة السودان عبر القرون ص
١٣٦/ مكى شببكة السودان فى قرن ص ٦٧ / رتشارد هل مصر فى السودان ص
١١٣/ إبراهيم باشا فوزى السودان بين يدى غردون وكتشنر الجزء الأول ص ٦٧ .

ونلمس هنا الإهتمام الشخصي منه بتفاصيل إخماد الثورة فى أدق التفاصيل التكتيكية كما نلمس الوعد المتضمن بحسن الجزاء للعريفى حال نجاحه فى مهمته، وبالفعل ذهب آدم العريفى بعد ذلك إلى مصر حيث أنعم عليه إسماعيل باشا برتبة اللواء والنيشان المجيدى الثانى.

٢ / تمرد صباحى وإعدامه

من الحركات الشهيرة التى أغضت مضجع الحكومة حركة صباحى فى كردفان وقد كانت هذه الحركة أثناء حركة هارون الرشيد فى دارفور وسليمان بن الزبير فى بحر الغزال.

ومما دعانا الى وضعها ضمن التمردات العسكرية، أن صباحى قد كان أحد قادة جيش الزبير الذين رفضوا التسليم لجسي باشا وانفصلوا عن سليمان بن الزبير وهو ينتمى إلى قوات تسمى العساكر غير المنظمة. وهم التشكيل العسكرى الذى أبتدعه الزبير وكون منه جيشه الذى فتح به دارفور، وهم قوات عسكرية تلقت قدرا من التدريب كما أنها مسلحة بالأسلحة النارية ويذكر أن الزبير باشا فى رحلته الى مصر كان من جملة ما أحضره معه للخديوى ١٠٠٠ عسكرى من هؤلاء بسلاحهم الكامل.

فهم فى نهاية الأمر عساكر تم استيعابهم فى قوات الحكومة وتم تنظيمهم على نحو ما فى تشكيلاتها العسكرية. وقد قام غردون فى إجراءاته فى مواجهة سليمان بتحويل ١٠٠٠ منهم إلى السعيد بك وسماه مديراً على شكا وأعطى قسما منهم للنور بك عنقرة وأرسله إلى كباكبة.

أما عن صباحى فإنه بعد إنفصاله عن جيش سليمان اصطحب ٤٠٠ رجلا وأغار على الأضية فى كردفان وقتل مأمورها فعلم غردون بالأمر

فأرسل جردة فى مطاردته وأتوا به أسيرا فحوكم فى مجلس عسكرى وحكم عليه بالإعدام فى مارس ١٨٧٩م (٢).

٣ / عصيان حامية بارا ١٨٨٢ وإعدام ستة من الفور.

كان عدد كبير من أفراد الحامية المرابطة فى بارا بقيادة سلاطين من الفور كما كان هناك جنود مصريين وقد بلغهم خبر الثورة العرابية فى مصر وإخراج الخديوى منها لمصادقته النصارى فسرت روح التمرد بينهم وزاد على ذلك خبر سقوط الأبيض فسرت روح التمرد فى الحامية.

ويبدو أن الفور الموجودين فى الحامية قد قرروا الفرار والانضمام الى الأمير دود بنقة الذى خلف الأمير هارون بعد قتله وجأهروا بالعصيان فأمر سلاطين بالقبض على ستة من قادتهم ومحاكمتهم بمجلس عسكرى فحكم المجلس بإعدامهم وصدقه سلاطين فقتلوا (٢).

٤ / إعدام السعيد باشا الجيعانى وحسين باشا الشلالى مارس ١٨٨٤.

كان السعيد باشا الجيعانى وحسين باشا الشلالى من الضباط السودانين العظام أثناء حصار الخرطوم. وكان الأنصار قد احتلوا المنطقة حوالى الحلفاية فصمم غردون على طردهم وتمكين حامية الشايقية العسكرية فى الحلفاية من الإنضمام لحامية الخرطوم، فجهز غردون جيشا مكونا من ٤٠٠٠ رجل وجعل قيادته لسعيد باشا الجيعانى ووكيله حسين باشا فخرجا من سراى الشرق وسارا نحو الحلفاية وعندما صار الأنصار عند مرمي البنادق أحجم المذكوران عن إعطاء أمر بإطلاق النار وعندما قام ملازم الطبجية بإطلاق المدافع منعه حسين باشا بل وقتله وأمر سعيد باشا البروجى بضرب نوبة الرجعة وامتنع البروجى فقتله أيضا. وهكذا

(٢) نعم شقير ص ٣٠٤ / محمد فؤاد شكرى الحكم المصرى فى السودان ص ٢١٩

(٣) سلاطين باشا السيف والنار ص ٧١ / نعم شقير ص ٤٠٥.

تسبب السعيد وحسين فى هزيمة الحامية وكان غردون يشاهد الموقف من السراى فأرسل ستيوارت بعد هزيمة العساكر ليتحقق من الأمر فأخبروه تلغرافيا بتأمر السعيد وحسين فأمر بإحضارهما وشكل مجلس عسكرى برئاسة فرج باشا الزينى لمحاكمتهما فحكم المجلس عليهما بالإعدام فقتلا (٤).

ب/ تمردات غير العسكريين.

ونقصد بهؤلاء الذين دخلوا فى خدمة الحكومة ولسبب من الأسباب اختلفوا معها وترتب على ذلك الإصطدام بالسلطات فأنفذت فيهم أحكاما بالإعدام أوقامت بقتلهم واخترنا أن نفرد لهم مبحثا لاختلاف طبيعة تبعيتهم للحكومة عن طبيعة تبعية العسكريين لها بطبيعة نوع الخدمات التى يؤدونها. وهؤلاء المدنيين هم من الشيوخ الذين أوكلت لهم السلطات وظائف معينة ذات صلة باستقرار السلطة وأعمالها. وأرتكز تعيينهم على ما كان بين أيديهم فى السابق من مناطق نفوذ موروثة قبل الغزو. وتتناول هنا ما نقلته المصادر من الإعدامات التى طالت هذه الفئة من السكان.

١/ إعدام الشيخ خليفة بن الحاج العبادى: ١٨٢٨ (٥).

الشيخ خليفة بن الحاج العبادى من زعماء العبادية المرموقين. وقد كان للعبادة تاريخيا السيطرة على طريق القوافل الممتد من مصر عبر الصحراء الى سنار وكانوا يقومون بهذه المهمة - مهمة تأمين القوافل -

(٤) مكى شبكية السودان فى قرن ص ٢٠٦ / ب.م. هولت ص ٩٠ / نعم شقير ص ٤٤٧ .

(٥) نعم شقير ص ٢١٥ / كاتب الشونة ص ١٠٧ / تاريخ ملوك السودان ص ٢٨ / قاموس رتشارد هل ص ٢٠٠ / هامش على تخوم العالم الإسلامى الجزء الأول نقلًا عن من زوايا التاريخ السودانى ص ١٠٥ .

مقابل مكوث متعارف عليها بينهم وبين التجار . وعند الغزو تولى الشيخ خليفة ورجاله عملية نقل المؤن والعتاد من أسوان إلى سنار وقد منح نظير خدماته حق وامتياز ١٠٪ من قيمة البضائع المنقولة عبر الصحراء النوبية مقابل استمرار خدمات تأمين القوافل التي يؤديها .

وتنقل المصادر المعاصرة صورة غامضة عن تمرد الشيخ خليفة وقتله فيورد كاتب الشونة " .. وحصل من الشيخ خليفة ما حصل من نزاع العساكر ، وأرسلوا هم يعلموا بذلك ولى النعم خورشيد باشا ، فتوجه إليهم بالمرائب مملوءة عساكر جهادية فوجد خليفة قد قتل . " ولا يزيد (تاريخ ملوك السودان) عن ذلك .

لكن فيما يبدو أن بداية الاختلاف مع الحكومة تتعلق بضرية ١٠٪ من قيمة البضائع المذكورة إذ كان عباس أغا حاكما لبربر ويرى أن هذه النسبة عالية وساوهم خليفة فى انقاصها الى ثلاثة ريات عن الجمل المحمل وقد رفض خليفة ذلك رفضا باتا ، وأغلق الطريق مما أغضب الحاكم . وقد حضر خليفة الى بربر للمفاوضة فى هذا الأمر وتدهور الأمر بينه وبين الحاكم . وفى هذا الإثناء التجأ الى خليفة رجل بشارى قاطع طريق مطلوب من الحكومة فى عدة جرائم فأواه خليفة حسب التقاليد العربية فأنتهز حاكم بربر هذه الفرصة وقام بمحاصرة خليفة ورجاله وأحرقهم داخل مخزن كانوا يقضون الليل فيه . ويروى راوية العبادة حسن أحمد حسين خليفة العبادي أنه قد قتل مع خليفة مئة واثنان وثلاثون من رجاله .

ويبدو أن السلطة قد قررت أصلا التخلص من خليفة وذلك بدليل الحشود التى حشدتها خورشيد للقضاء عليه والتى وصلت بربر بعد أن قتل خليفة .

٢ / إعدام رجب ود بشير الغول وكاتبه القبطى ١٨٣٦ (٦).

نستنتج من الخطبة التى ألقاها رجب ود بشير الغول قبل إعدامه بلحظات عن طريق الخازوق بأنه ثار ضد مظالم الضرائب والإجراءات التعسفية فى جمعها. فقد واجه مصيره بشجاعة كما أشار كاتب " على تخوم العالم الإسلامى " وناشد الناس الإطاحة بحكم الأتراك البغيض.

وكان رجب شيخ من شيوخ الحمة المعروفين باسم ناس أبوجن وهم فرع من فروع عرب رفاعة ويرعون مواشيهم فى منطقة العطيش جنوب البطانة. وقد خصصت الحكومة كاتباً وعدداً من الدفاتر لكل شيخ قبيلة لأغراض جمع الضرائب. وقد شارك رجب وعضد تمرده كاتباً قبطياً خصصته الحكومة له.

وقد استعان رجب فى تمرده بالأحباش واتصل بكنفو الحاكم الحبشى فى غندار لكن استطاعت قوات الحكومة أن تهزمه فلبجاً الى الحاكم المذكور ومكث عدة أشهر فى الحبشة. ولكن خورشيد أوعز لأحد رجال كنفو بتسليم رجب مقابل قدر من المال وبالفعل سلم رجب للحكومة وقامت بإعدامه بالرفع على الخازوق بعد أن ودع أهله وأقاربه.

أما كاتبه القبطى فقد قبض عليه أيضاً وشنق فى اليوم التالى. وقد تقرر شنقه لكونه قبطياً لا يستحق شرف الموت بالخازوق. وقد عرفت عائلة ود بشير الغول بتمرد آخر حيث تمرد شقيقه أبو الريش بشير الغول بعد ذلك بسنوات قليلة وذلك عندما قرر أحمد باشا بأن يدفع أبو الريش ضعف ما قدمه من ضريبة عن منطقته فرفض ذلك واستعان بعصابة مشهورة تعمل على مسافة قريبة من الحدود الحبشية وأوقع بكاشف المنطقة ورجاله فى معركة على الرغم من وجود الأسلحة النارية

(٦) على تخوم العالم الإسلامى الجزء الأول ص ٥٩ / كاتب الشونة ص ١١٩ / تاريخ ملوك السودان ص ٢١ / نعم شقير ص ٢١٨ .

فقر الكاشف لكن بعد الإمدادات اللازمة من أحمد باشا تمكنت الحكومة من هزيمته. خاصة وأن أبو الريش ورجاله انشغلوا بعد انتصارهم بتحريض الناس على الحكومة دون أن يتخذوا خطوات عسكرية وأمهلوا الحكومة في جمع أطرافها وبالتالي قمعهم وتشتيتهم.

وفي نهاية الأمر اضطر أبو الريش للاستسلام فأتى على جواده منفردا إلى معسكر الباشا أملا في عتق أفراد أسرته الذين تم استرقاقهم وبيعهم. فعفى عنه الباشا بعد وساطة الشيخ أحمد أبو سن وبعض الشيوخ (٧).

٣/ إعدام أحد الشيوخ بسبب الضرائب :

كان من الواضح أن الضرائب الباهظة قد تسببت في تمرد العديد من شيوخ القبائل الذين استعانت بهم الحكومة في جمعها. وقد جرّ عدم المعقولية في تقديرها الكثير من المآسى للأهالي ودفع شيوخهم الواقفين والعالمين بقدراتهم المالية للإنحياز الى جانبهم ضد الحكومة على الرغم من امتيازات الشياخة على الخطوط والاقسام.

ويبدو أن الشيوخ كانوا يلجأون الى الاحتجاج السلمى فى بداية الأمر ويحاولون بالطرق السلمية فتح عيون الحكومة على مساوئ النظام الضريبى. ومن ضمن ذلك أن اضطر الشيخ رجب إدريس عدلان عام ١٨٦١ الى الإحتجاج لدى الوالى سعيد باشا شخصا متجاوزا السلطات المحلية ومطالباً بإعادة النظر فى طريقة جمع الضرائب من أهل مشيخته فى جبال الفونج (٨).

لكن يبدو أن عدم الاستجابة يدفع للشورة واشعال نار التمرد. فيورد كاتب على تخوم العالم الإسلامى الجزء الثانى فى يومياته بتاريخ

(٧) على تخوم العالم الإسلامى من الجزء الأول ص ١٥٠ .

(٨) قاموس رتشارد هل ص ٢١٤ بالإنجليزية .

١٩ / سبتمبر / ١٨٣٩ ((هرب شيخ قرية كنور التى تقع جنوب بربر بسبب الضرائب الباهظة فأرسل المأمور فى الحال بعض الخيالة فاشتبكوا مع العرب ونتاج عن ذلك موت رجلين ولم يستطع الخفير أن يقبض أى شخص باستثناء نساء الشيخ.)) ص ١٢٢

وتورد نفس اليوميات يوم ٥ أكتوبر ١٨٣٩ ((قبض أحد الشيوخ الذى ترك منصبه بسبب الضرائب وشنقه الباشا اليوم فى السوق هو وأحد الكتبة الأقباط . وخير القبطى بين الموت أو اعتناق الإسلام فيعفى فاختار الموت.)) ص ١٢٢ وللأسف لم تحفظ المصادر اسم الشيخ المذكور إلا أنه يبدو أن هذه الحالة تكررت عدة مرات ويبدو أن علاج الحكومة الوحيد لمثل هذه التمردات كان الإعدام .

ويتضح جليا من العرض السابق أن الحكومة لم تكن تتسامح البتة مع أى خلل يصيب جهازها الذى أخطته أو أحد روافده سواء فى جانب العسكريين أو الموظفين المدنيين أن جاز لنا التعبير . وكانت تنظر لهذه التمردات التى تهدد أداءها نظرة خاصة تتلخص فى سرعة الحسم وعنفه دون أى تردد أو إمهال .

لكن نلاحظ أن تمردات العسكريين قد حظيت ببعض المعاملة ذات الطابع القانونى ويظهر ذلك فى اقرار نظام المجالس العسكرية والمحاكمات العسكرية .

ويبدو أن ذلك يرجع إلى طبيعة خضوع العسكريين لأنظمة ولوائح الجيش المصرى وما تكفله من حقوق لرفقاء السلاح .

٢ / إعدامات فقهاء الطرق الصوفية

من الفئات التى حرصت سلطة الحكومة التركية على عدم تفويت فرصة التنكيل بها فئة فقهاء ورجالات الطرق الصوفية، وذلك يعبر عن

وعى الحكومة بخطرهم والدور الذي كانوا يلعبونه أيام السلطنة الزرقاء فقد كانت هذه الفئة مهابة حتى من قبل السلاطين والوزراء . وكانت ملجأ للشعب عند وقوع المظالم عليه فكانت شفاعتهم الشهيرة للمظالم، وجرأتهم فى مواجهة الظلم ومواجهة الحكام به ونقل فى هذا الشأن الكثير فى طبقات ود ضيف الله مما لا يسع المجال لذكره .

وعت السلطة هذا الدور الخطر منذ أيامها الأولى وعلمت أن مثل هؤلاء الرجال يشكلون مركزا لتجمع المعارضة وبما لهم من نفوذ روحى يمكنهم أن يقودوا عصيانات وتمردات لا تستطيع السيطرة عليها، خاصة فى نزعتهم الطبيعية فى مناهضة السلطان والجور . ولعل اهتمام محمد على باشا بإرسال ثلاثة من علماء المذاهب يمثلون المذهب المالكي والشافعي والحنفي يشير الى رغبته فى خلق تيار موازى يضعف من شأن المتصوفة . وقد تأكد هذا فيما بعد بما تم انشاؤه من أجهزة القضاء والافتاء والمجالس وتقريب العلماء على رجال التصوف . قلم يكن ارسال محمد على لرجال المذاهب الثلاثة لمجرد اقناع الوطنيين بالحكم الجديد وكان من الممكن من أجل هذه الغاية ارسال خيرة المتصوفة الذين تزرخ بهم مصر فى ذاك الزمان .

وهكذا نجد أن هذه الفئة قد نالت نصيبا وافرا من عنف السلطة ونعرض فيما يلى لبعض اعداماتهم وتصفياتهم .

أ / قتل الفقيه محمد ولد عبد العليم :

عندما تسامع الناس خبر حرق اسماعيل باشا ، ذكر كاتب الشونة ((.. أنه اجتمعت الوفود والجموع من الفلاحين بعبود وطمعوا فى نيل المقصود وسول لهم الشيطان وغرهم بعض الفقراء - المقصود بالفقراء هنا المتصوفة - ولم يكن إلا ما أراد الله فأقاموا بها مجتمعين وللأبعاد مراسلين، فبعث عليهم عند ذلك الكخيدار سرية من وادمدنى وخرجوا

بالليل فأصبحوا معهم بالبلد فهربوا منهم ولم تغن الجموع والعدد فقتل منهم الولي الصالح محمد ولد عبود ومن تم أجله ونهب العساكر الحلة وخربوها.)) ص ٩١

يتضح من حديث كاتب الشونة أن الفقراء لعبوا دورا واضحا في تأليب الناس وأن قرية عبود التي هي مركز ديني كانت بؤرة تجمع للانتفاضة وقضت السلطة على الخليفة محمد ود عدلان خليفة القرية ولم تكتف بذلك بل قامت بنهب الحلة وتخريبها.

ب / قتل الشيخ صالح ولد بان النقا :

وفى وقعة مكدور وهي الموقع الذي لحق فيه الدفتردار المك مساعد ذكر كاتب الشونة : " فقتلهم مقتلة عظيمة بذلك المحل وأسر رجالا ونساء وفرقهم بالجزيرة وقتل فيها الشيخ صالح ولد بان النقا ، وانتشرت كتبهم وأموالهم وتفرقت في الجزيرة. " ص ٩٤ .

ويبدو أنه بالإضافة لاستهداف أرواح الفقهاء أيضا استهدفت كتبهم وآثارهم . وأشار كاتب الشونة في عدة مواضع لضياغ الكتب .

ج / قتل الفقيه السيد ولد زين العابدين :

قتل في مطاردة السلطة لحسن ود رجب (٩) .

د / الفقيه الأرباب ود الكامل :

أعدمه عثمان أغا الخربوطلى وكيل عثمان بك في الخرطوم وقد قتل بـقذيفة المدفع وكان ذلك عام ١٨٢٥ (١٠) .

وفى النهاية صدق حدس السلطة في التوجس من رجال الطرق الصوفية فقد نبعت المقاومة الأساسية للنظام والثورة والإطاحة بها من بين رجالها . إذ كان الإمام محمد أحمد المهدي قد بدأ نفوذه الروحي وثقة

(٩) عبد الله على إبراهيم الصراع بين المهدي والعلماء ص ٥ .

(١٠) نعوم شقير ص ٢١٢ / كاتب الشونة : ص ٩٧ .

الناس به منذ أن كان خليفة سمانى . وأعتمدت المهدية على الإرث
الصوفى فى البلاد .

٣ / إعدامات الأسرى

تطرقنا فى تناولنا لعنف الحكام وميلهم للإبادة الجماعية لمصير
الأسرى فى حملات الدفتردار الانتقامية وإبادة ثلاثة آلاف منهم فى
المتمة . وأشرنا لموت إعداد من أسرى واقعة مكدور بالجوع والعطش
وكذلك أسرى واقعة النصب، كما أشرنا من قبل لأفعال الباشا الجزار
والمنكلى بأسرى إقليم التاكا . ولا نريد التطرق لحالات الاسترقاق
الجماعية باعتبار خروجها عن دائرة البحث. لكن وجدنا لازما علينا أن
نعرض رصد لبعض النماذج فى إعدام الأسرى تحت عنوان منفصل حتى
تتكامل الفكرة عن هذا الإتجاه فى عنف السلطة .

أ / إعدام عبد الله نقل : أسرى فى مطاردة حسن ود رجب قاتل
الوزير عدلان ، وقد قتل فى سنار بالخازوق (١١) .

ب / إعدام أسرى انتفاضة أهل التاكا ١٨٤٤ :

إنتفض أهل التاكا عام ١٨٤٤ للمظالم التى وقعت عليهم من
الموظفين الأتراك ، وكان أحمد باشا المنكلى قد حضر من مصر خلفاً
لأحمد باشا أبو ودان فجرد جيشا كبيرا وسار به لقمع الإنتفاضة ،
وأصطحب معه من السودانيين الأرباب محمد دفع الله والشيخ عبد
القادر والشيخ أحمد أبو سن كبير الشكرية . ونكل بأهل التاكا وقمع
الإنتفاضة وأحضر معه الى الخرطوم أربعين أسيرا من قادة الإنتفاضة
وضرب أعناقهم جميعا (١٢) .

(١١) كاتب الشونة ص ٨٨ .

(١٢) نعوم شقير ص ٢٢٣ / تاريخ ملوك السودان ص ٣٤ / مكى شببكة السودان
عبر القرون ص ١١٦ / مكى شببكة السودان فى قرن ص ٤٩ / رتشارد هل مصر
فى السودان ص ٨١ .

ج / مثنان من الأسرى الدينكا يموتون متأثرين بجراحهم :

فى غارات خورشيد فى حملات الاسترقاق توجه الى منطقة الدينكا وكان يصحب معه الشيخ سليمان من قبيلة أبى روف وواجه خورشيد مقاومة عنيفة من الدينكا، وتكبد الجانبان الخسائر فى معركة عنيفة ووقع فى الأسرى مئتين من الدينكا مات معظمهم بجراح الحراب والأسلحة النارية (١٢).

د / أسر الشيخ عبد الباسط الجمرى وشنقه

ولى المهدي على عرب الدويم الشيخ عبد الباسط الجمرى أحد مشايخ الطريقة السمانية وأمره بحصار الدويم فقام بحصارها، فأرسل عبد القادر باشا جيكلر من الخرطوم

وهاجم المحاصرين وشتت جموعهم فكان أن وقع الشيخ عبد الباسط فى الأسر أثناء المواجهات فأحضره جيكلر الى الخرطوم وأمر عبد القادر باشا بشنقه فنفذ فيه الحكم فى نوفمبر ١٨٨٢ (١٤).

هـ / إعدام ملك الشلك كوارثك

لم تكن علاقة ملك الشلك كوارثك طيبة مع الحكومة وفيما يبدو كان متمسكا باستقلاله فهجمت عليه قوة وأسرتة حيث أعدم فى فاشودة (١٥).

(١٢) على تخوم العالم الإسلامى الجزء الأول ص ٥٠ ..

(١٤) نعوم شقير ص ٣٦٠ .

(١٥) السودان المعاصر د . زاهر رياض ص ٤٧ .

المثلة

ونعنى بالمثلة هنا التمثيل بجسد الميت وتغيير هيئته بالتشويه بقطع بعض أعضائه وبتريها عن بقية الجسد ويسع المعنى أيضاً فصل الرأس عن الجسد بعد القتل أو تنفيذ حكم الاعدام وتعليقه على رأس عود أو حربة وعرضه بعض الوقت، كما تشمل صلب جسد من اعدم وعرضه لفترة قبل مواراته الثرى أو تركه فى العراء دون دفن .

وهذه الممارسة موغلة فى القدم وشهداها التاريخ فى فترات مبكرة من نشأة البشرية واستمرت حتى السنوات الأخيرة من القرن الماضى وتعمد التكوينات السلطوية التى تمارسها فى المقام الأول إلى بث الرعب والارهاب فى نفوس خصومها المحتملين وضرب المثال والعبرة لمن تسول له نفسه مناهضة الكيان الحاكم . كما تحمل قدر عالى من التشفى وروح الانتقام . فهى فى نهاية الأمر تأكيد على سلطان الحكومة على جسد الميت حتى بعد موته وانقضاء اجله .

وبدا تاريخ المثلة فى الحكم التركى مبكرا منذ لحظات الغزو الاولى حيث أعلن اسماعيل باشا بعد انتهاء معركة كورتى مع الشايقية عن مكافأة قدرها خمسون جنيها لكل من يحضر له اذنين لاي شايقى قتل فى الحرب حتى يرسل ما جمعه من الاذان المصلمة إلى والده محمد على باشا شاهدا على نجاحه الباهر (١) .

فتهاقت عليهم الاتراك يقطعون آذانهم فى وحشية تشمئز لها النفوس . وقال وادنجتون الذى اتى إلى ساحة القتال بعد أتهاء المعركة

(١) الشايقية تأليف د. نكولز ترجمة د. عبدالمجيد عابدين ص ٥١ . من كتاب قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربى .

قال أن وجوه القتلى كانت ترتسم عليها سيماء الغضب أكثر مما كانت ترتسم سيماء الرعب، .. وأرسلت للقاهرة ثلاثة آلاف اذن بشرية نزعت من الاموات والأحياء على السواء (٢).

ويقول كايو الفرنسى وهو من مرافقى الحملة ومكلف من قبل محمد على باشا بالبحث عن مناجم الذهب « وحاول الباشا أن يضع حدا لتعدى هؤلاء المجانين ولكن من غير طائل، ولا غرو أن كان الباشا مسئولا عن ذلك فهو الذى دفعهم أول الأمر للتمادى فى ذلك حين أعلن لهم عن مكافاته لكل من يأتى بأذان الشايقية مصلمة. فاذا كان بعض الاتراك قد دفعتهم مشاعر انسانية فوهبوا الحياة لبعض من هؤلاء التاعسين عاثرى الحظ، فلم تبلغ بهم الاريحية إلى الحد الذى جعلهم يدعون الاذنين ملكا لصاحبها. فقد سمعت رجلا يونانيا كان طبيب الباشا يفتخر بأنه اهدى إلى أحد الجنود أذن قاة كان قد وجدها مختبئة فى حقل من الذرة ويعلن أنه ابقى على حياتها لانه شعر نحوها بعاطفة وأنه ما كان يشعر بهذه العاطفة ازاء النساء الاخر اللاتى يكبرنها سنا ولذلك كان يذبهن دون تردد (٣) وهكذا لم تنج النساء من حملة المثلة » فان نصف الاهالى الذين التقينا بهم وكثير منهم من النساء كانوا محرومين أما من احدى الاذنين أو من كليهما ، وكان اخرون منهم قد قطعت أطرافهم ».

ويؤيد جيوفانى فيناتى الذى صحب الحملة ما رواه كايو فى ملاحظاته تأييدا كاملا وجيوفانى جندى ايطالى التحق بالجيش التركى وكان من بين المستشارين الذين استعان بهم الباشا فى تنظيم جيشه ، وكان يتكلم العربية بطلاقة واعتنق الاسلام وسمى نفسه الحاج محمد .

(٢) الان مورهد النيل الازرق تعريب د. ابراهيم عباس ابو الريش ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٣) الشايقية ودكولز ترجمة عبدالمجيد عابدين ص ٥١ - ٥٢.

دشن اسماعيل باشا تقليد المثلة فى السودان وقد استمر طوال سنوات الحكم التركى حتى نهايته وفيما يلى نستعرض ابرز الحالات التى حفظتها المصادر (٤).

١ / التمثيل بجسد الشريف احمد طه : ٦ / مايو / ١٨٨٢ :

الشريف أحمد طه من مشايخ الطريقة السمانية شرقى النيل الازرق بين أبى حراز ورفاعة وكان من الذين كاتبهم الامام محمد أحمد المهدي، وقد استجاب له وقام بتأليب الناس فى منطقته واستطاع أن يجمع حوله الكثير من البطاحين والجعلية والشكرية والDNAقلة وغيرهم من سكان منطقته وأعلن راية الثورة .

وكان فى ذلك الحين جيكلر باشا وكيلا للحكمدار ومتوليا أمر قمع الثورة فى منطقة سنار والجزيرة والنيل الازرق فأرسل عليه المك يوسف من سناجق الشايقية ومعه مئة رجل قضى عليهم أحمد طه الا قليلا منهم .

وهزم تجريدة أخرى أتت نجدة لجيكلر من القلابات وغنم مدفعا كانوا يحملونه معهم فأرسل جيكلر خبرا لعوض الكريم أبو سن فحضر بجيش كبير من أعوانه وكتب إلى الشريف يقول « أنى انصح لك أن تكف عن العداء وتحضر مسلما فيعفى عنك والا فأنج بنفسك واحقن دمك لأنك شريف ولا نريد قتلك فاذا لم تفعل هذا ولا ذاك فلا تلم الا نفسك. » فأجابه الشريف « دع عنك النصح فانى أوقدت نارا وأريد أن أتدفأ بها . » فاجتمعت عليه عساكر جيكلر باشا والشكرية فى معركة حامية الوطيس إلى أن استشهد بعد أن تراكمت عليه اجساد انصاره .

حرق العساكر حلة الشريف بالنار وحملوا جثته على جمل وأتوا بها إلى أبى حراز فقطع جيكلر رأسه وعلقه على غود وأرسله إلى

(٤) المرجع السابق ص ٥٢ .

الخرطوم فعلق فيها أياماً (٥).

٢ / قطع رأس الفقيه محمد زين ٢٥ / مايو / ١٨٨٢ .

أعلن الثورة في أبى شوكة الفقيه محمد زين وهو من التكارنة وقد نادى باسم المهدي جامعاً حوله جموعاً كثيرة من عربان رفاة الهوى وأخذ يستعد للزحف على سنار .

ولا يزال جيكلر رئيس مصلحة التلغرافات السودانية السابق ومتولى وكالة الحكمدارية مترصداً لتحركات الثوار في المنطقة فأرسل على الفقيه محمد زين نحو ألف رجل من السوارى من العساكر المنظمة والباشبوذق بقيادة سر سوارى على أغا فقتله في أبى شوكة وقطع رأسه وعاد به إلى سنار (٦) .

٣ / اعدام عدد من أنصار المهدي عن طريق بتر الأعضاء :

بعد أن كادت حملة راشد بك أيمن أن تباغت المهدي وأنصاره في قدير دون أن يشعر أحد بتحركاتها لولا أنذار رابحة الكنانية ونضيرة الملك آدم دبالو اعتمد الامام محمد أحمد المهدي إرسال الطلائع وجماعات الاستكشاف الصغيرة لرصد تحركات الحكومة .

وكانت مجموعة صغيرة تتكون من عدد من الأنصار ترابط في جبل فنقر مع الملك تيفرا لانذار المهدي بأى تحركات حكومية وكان الملك تيفرا قد عاهد المهدي على نصرته على الحكومة ومد يد العون، وعلى هذا الأساس أستقرت معه هذه المجموعة كمحطة أنذار مبكر للمهدي .

في هذه الأونة أخذ جيكلر باشا يحشد جنود الحكومة في الكوة وعقد لوائها ليوسف باشا الشلالى وسار الشلالى قاصداً قدير وعلم به المهدي وعند وصول طليعة جيش الشلالى بقيادة طه أبو صدر رئيس (٥) نعوم شقير ٣٥٤ - ٣٥٥ / مكي شببكة السودان في قرن ص ١٥٧ / السودان بين يدي غردون وكتشنر الجزء الأول ص ٩٧ .

(٦) نعوم شقير ص ٣٥٦ / مكي شببكة السودان في قرن ص ١٥٧ .

الخطرية قام الملك تيفرا بتسليمه الأنصار الموجودين معه خائناً لعهد
فقبض عليهم .

حكم الشلالى عليهم بالأعدام بطريقة بتر أعضائهم عضوا عضوا
أمام أنظار جنوده وكان ذلك لشدة مخاطبتهم له عند استجوابهم . وقام
بالفعل بتنفيذ الحكم الشاذ على الرغم من اعتراضات القاضى الذى كان
يصحب الحملة وكبار رجال الشلالى (٧) .

وواجه الأنصار مصيرهم بشجاعة منقطعة النظير ، وكانت طريقة
القتل بطرحهم على جذع شجرة وتقطيع أوصالهم بفأس قطعة قطعة .
ويظهر من رد المهدي على خطاب الشلالى أن عدد الذين أعدموا بهذه
الطريقة البشعة أربعة أنصار . فقد قال الامام وقولكم أنكم ضبطتم أربعة
من انفار الطليعة واذا يتموهم فاعلموا أنه قد أودى قبلهم أصحاب
الرسول عليه أفضل السلام . بالسجن والضرب والقتل وجميع أنواع
الأذى كبلال وحبس وأمثالهم فليس لهم الا الثواب ولا بد أن يجازيكم
الله على ما فعلتم بهم . (وينقل « جهاد فى سبيل الله » أسماء ثلاثة
منهم وهم أدريس حمد واللحوى والدود مولى تقراوى .

٤ / اعدام رسولى المهدي لحامية الأبيض وعرضهم على سورها (٨) .

كلف الامام المهدي اثنين من الأنصار وهما محمد المغربى وود جلى
الزيادابى وأرسلهم بكتابين إلى الأبيض أحدهما لسعيد باشا مدير
الأبيض ورؤساء الجيش ، والآخر إلى سكان المدينة من علماء وأعيان
وتجار وغيرهم ودخلا المدينة بكامل سلاحهم وسلموا الكتابين ومكث
الرسولان بعد تسليم الكتابين ربما فى انتظار الرد عليهم فاجتمع حولهم

(٧) مكى شبكية السودان عبر القرون ص ٢٢٣ / السودان فى قرن ص ١٥٢ /
جهاد فى سبيل الله ص ٢٨ .

(٨) نعوم شقير ص ٣٧٠ / جهاد فى سبيل الله ص ٤٠ / ابراهيم فوزى الجزء الأول
ص ١٠٨ .

عدد من العساكر والأهالى ودارت بينهم مناظرة كلامية حادة وتصادف أن خرج سعيد باشا من اجتماعه بكبار الضباط فى الحامية وأعيان البلد فسمع طرفا من الحديث فأغتاظ هو وبعض الضباط من جرأة الرجلين وهما فى عقر دار الحكومة ، فطلبوا من العلماء الافتاء بقتلهم فأبوا قائلين أن الشرع لا يسمح بذلك فأصر الضباط خصوصا اسكندر بك قائم مقام العساكر فشنقا على الزاوية الجنوبية الشرقية من السور .

ويبدو من شنقهم على السور أنه قصد أن يعلقا هكذا بعض الوقت لأرهاب أنصار المهدي خارج الأسوار وقد عبر نعوم شقير عن سبب القتل : "وقد أراد الضباط بقتل الرسولين أن يستخفوا بقوة المهدي ويلتقوا الرعب فى قلوب الاهلين الذين عولوا على اللحوق به " .

ولا شك أن أعدام الرسول تستنكره كل الشرائع وقد جعلت التقاليد العسكرية لهم حصانة معترف بها بين اعنى الخصوم عداء ، لكن يبدو أن الشجاعة الفائقة لهذين الرسولين كانت مستفزة لضباط لم يكن فى تصورهم أن يرفع أعراب اجلاف مسلحين بالسيوف والحرب أعينهم أمام حكومة مدججة بالسلاح النارى على هذا النحو الجرى .

٥ / قطع رؤوس الشريف محمود الحاج وأحمد الهدى وأثنين من الأنصار سبتمبر ١٨٨٤ (٩) .

كان مدير دنقلا مصطفى باشا ياور الشركسى قد أجاب على كتاب المهدي بتصديقه ورد عليه بما يرضيه وأكرم أهله فى دنقلا بقصد مخادعته حتى يأمن أنتشار الثورة فى أقليمه . وقد كان ينتهز أى فرصة لضرب الأنصار فى حدود مديريته وألحق بهم أضرارا جسيمة فى عدة وقائع . وقد تحرك الشيخ الهدى بعد سقوط بربر إلى ديار الشايقية مؤلماً لهم على الثورة وهاجم طابية صغيرة فى الدبة يعسكر فيها جودت بك (٩) نعوم شقير ص ٤٦٧ / ابراهيم فوزى السودان بين يدي غردون وكتشنر الجزء الثانى ص ٣٧ .

وكيل المديرية فكبه الوكيل خسائر فادحة ووصل بعد الواقعة مصطفى
ياور وطارد الهدى حتى بلاد المناصير .

أرسل المهدي محمود ود الحاج من أقاربه مع نفر من أصحابه على
أن يكون عاملا على دنقلا وكتب للمهدي بالانضمام إليه . فحضر
محمود ود الحاج ونزل في أم بليلة على النيل قرب دنقلا وكتب إلى
مصطفى يقول له : (قم واحضر لمقابلتنا بابي قس ومنها نتوجه إلى
المهدي لمقابلته لاجل البيعة والتأدب بأداب المهدي .) ثم اجتمع على
الهدى في كورتى .

فما كان من مصطفى الا أن جمع عساكره وتوجه بالوابور إلى الدبة
وأخذ عساكرها وهاجم الأنصار بالقرب من كورتى وقتل محمود ود
الهدى وأعداد من الأنصار . وقام بقطع رأس محمود ود الهدى وأحد
الأنصار المغاربة قيل أنه أمير طرابلس الغرب ورجل آخر قيل أنه أمير
مصر . وأرسل الرؤوس الأربعة إلى سردار الجيش المصرى بحلفا وسأله أن
يرسل رأس أمير طرابلس الغرب إلى السلطان ورؤس الباقين إلى
الخدوي .

فكتب إليه السردار يمدح بسالته ويهنئه بالنصر الا أنه أخبره أنه لم
تجر عادة هذا العصر في إرسال مثل هذه العلائم ثم أمر بدفن الرؤوس
الأربعة (١٠) .

ويبدو أن السير أفلن ود سردار الجيش المصرى متفائلا بخصوص
عادة العصر فقد ارتكبت جرائم مشابهة في نفس الحقبة ونبش أحد أبناء
حضارته قبر الامام محمد أحمد المهدي بعد خمسة عشر سنة من
حديثه هذا وفعل به ما فعل (١١) .

(١٠) نعوم شقير ص ٤٦٧ .

(١١) كذلك أعلن الأميرال هيوت عن جائزة قدرها خمسة الاف ريال لمن يأتيه برأس عثمان
دقنة لكن بعد صدور الاعلان بثلاثة أيام اتاه أمراً من بريطانيا بالغائه لمخالفته لمبادئ حزب
الاحرار ..

جذور التقاليد العقابية فى الحكم التركى

هال السودانيون وسائل العقاب التركية التى نقلت إلى وطنهم وطبقت فى مواطنيهم ويكاد المرء يسمع شهقة كاتب الشونة وهو يسرد أن فلانا قتل بقتلة لم تعهد البلاد مثلها عندما يتحدث عن الخازوق أو المشنقة .

واذا حصرنا وسائل تنفيذ عقوبة الإعدام فى زمن التركية السابقة نجدها كالاتى :

- ١ / الحد بالسيف
- ٢ / الإعدام رفعا بالخازوق
- ٣ / المشنقة
- ٤ / القتل بقذيفة المدفع
- ٥ / الإعدام رمياً بالرصاص
- ٦ / القتل حرقا .
- ٧ / الاغراق .

بادى ذى بدء نقرر أن ما واجهه شعب السودان فى هذه الحقبة يعد امتدادا للحكم القاسى الذى عانى منه الشعب المصرى تحت سطوة الأتراك والشراكسة والمماليك وأننا نرى أن لفظة الحكم التركى المصرى التى استقر عليها الكتاب فى وصف نظام الحكم فى السودان فى الفترة من ١٨٢١ إلى ١٨٨٥ غير دقيقة إذ أن الصفوة التى حكمت مصر والسودان فى هذه الحقبة هم الذين يتحدثون التركية من الالبانيين والشركسيين والاكراد والأتراك الأصليين . وإذا رجعنا إلى كشف بأسماء حكمادارى السودان طوال فترة التركية لانجد أسما مصريا واحداً من بين الأربعة وعشرين حكمادارا ، فجميعهم من الشراكسة والأتراك (١) .

وعليه نقل هؤلاء تقاليد العقاب العثمانية التركية معهم وسقوا شعب السودان من نفس الكأس الذى سقوه الشعب المصرى ، ولا نجد أبلغ من المؤرخ المصرى العلامة الشيخ عبدالرحمن الجبرتى فى رصده ليوميات القهر تحت نير حكم الاتراك فيقول فى وصف حال الفلاحين تحت نير المظالم « وجفل كثير من الفلاحين وأهالى الأرياف وتركوا أوطانهم وزرعهم وهالهم هذا الواقع لكونه لم يعتادوه ولم يألفوه وباعوا مواشيهم ودفعوا ثمنها فى الذى طلع عليهم فى الزيادات الهائلة وسيعودون مثل الكلاب ويعتادون سلخ الأرهاب » (٢) .

كما ينقل الجيرنى حمامات الدم التى أقيمت فى سبيل توطيد السلطة وإزاحة الخصوم والعقوبات الجماعية . والتى شملت جز الرؤوس والتمثيل بالجثث والخوزقة والمدافن الجماعية .

ويورد جمال الغيطانى نقلا عن ابن اياس حادثة تعكس ما وصل إليه الحال فى سنة ٩٢٦ هـ وتهمنا هنا فى تصويرها لو وسيلة القتل

(١) المجلة التاريخية المصرية ، مايو ، اكتوبر ١٩٤٨ - العدد الأول والثانى المجلد الأول ، حكمادارو السودان ص ٤٢٨ .

(٢) تاريخ عجائب الآثار فى تراجم الأخبار / عبدالرحمن الجبرتى ص الجزء الثالث .

بالخازوق وشيوعها . يقول ابن اياس : « وفيه أشيع أن صبيانا صفارا
قعدوا يلعبون فى بعض الحارات فعمل واحدا منهم ملك الأمراء والآخر
والى القاهرة ونادرا أن احدا لا يخرج بعد العشاء ، فقام أحد الصغار
وخطف عمامة آخر يعبث عليه قبضوا عليه وأحضروه بين يدى الذى
جعلوه ملك الأمراء فرسم للذى أقاموه واليا بأن يقبض عليه ويخوزقه
فدقوا له عصا فى الأرض واقعدوه عليها غصبا ومنهم من قال أن الصبى
مات فى وقته ومنهم من يقول أنه لم يميت ، فلما جرى ذلك تهاربت
الصغار إلى حال سبيلهم ، وقد هان القتل فى هذه الأيام حتى عند
الصغار » (٢). وتنعكس هذه الحادثة المأساوية كما ذكر ابن اياس مدى
هوان القتل بهذه الوسيلة البشعة .

وقد تفنن الطغاة فى أستحداث طرق القتل بالخازوق وأخترع خاير
بك طريقة جديدة فى القتل بالخازوق عن طريق أذخال الخازوق فى
الأضلاع وكان يسميها (شك الباذنجان) (٤).

ولا يقف القتل على عامة الناس بل يمتد حتى لينال أعيانهم
ولأسباب تافهة كما حدث لرضوان كاشف المعروف بالشعراوى والذى
كاد أن يطاح برأسه لكونه أغلق باب داره الرئيسى وفتح بابا خلفيا
خوفا من غلاغل الفوضى حين أشيع أن محمد على باشا قتل فى
الحجاز (٥).

أما عن بدعة القتل بالمدافع فلم يصادفنا فى بحثنا هذا شئ عن
تاريخ هذه العقوبة ، ونعتقد - والله اعلم - أنه قد خص بها السودان
دون غيره . وصاحب هذه البدعة هو الدفتردار وكان يمارس العدالة

(٣) ملامح القاهرة فى ١٠٠٠ عام جمال الغيطانى ص ٢٠٦ .

(٤) نفسه ص ٢٠٨ .

(٥) تاريخ عجائب الآثار فى تراجم الأخبار / عبدالرحمن الجبرتى / ص ٤٥٥ ج ٣ .

بطريقته الخاصة ، حين كان يسأل اطراف القضية أن كانوا يريدون الاحتكام للعدالة الالهية وكان كمسلمين يردون بالايجاب عندئذ كان يسوقهم إلى القاضى وهو الأسم الذى كان يطلقه على المدفع « كتب ج . أ . سانت جون فى كتابه مصر ومحمد على فصلا أسماه طرائف الدفتردار فى ذر ممارساته الوحشية والغريب فى الأمر أنه أسماه طرائف » (٦).

والمشنقة لم تعرف فى السودان قبل الأتراك وقد ذكر كاتب الشنونة أول مرة جربت فيها هذه الالة إذ قتل بها الحاج على ود تمساح (٧) وقد كانت شائعة فى مصر فى حكم الأتراك .

أما المثلة وتعليق الرؤوس فقد كانت شائعة وكان باب زويلة فى القاهرة مكان تعليق الرؤوس حتى أوائل القرن الماضى (٨).

إذن يمكننا القول أن العقوبات التى مورست فى السودان هى امتداد للتقاليد العقابية التى مارسها الأتراك فى الولايات العثمانية وسادت فى حكم مصر ولكن لا يزال السؤال قائما لماذا كل هذا القدر من القسوة؟؟؟

نرى أن الإجابة تكمن فى الطبيعة الاجتماعية للدولة ، فالدولة التى حكمت يمكن أن نسميها الدولة الجابية ، تتربع على قمة هرمها الاجتماعى طبقة عسكرية من الجباة المدججين بالسلاح لها قاموس عقابى تطبقه ، وهذه الطبقة تستأثر بغلة المجتمع كلها الا قليلا ، ولانها قصيرة النظر وبعيدة عن الإنتاج فهى لا تضع اعتبارا فى كثير من الأحيان للقدر اللازم لحفظ حياة الكائنات التى تقوم بهذا الإنتاج وأستمراره ،

(٦) على تخوم العالم الإسلامى الجزء الأول ص ٤٧ .

(٧) كاتب الشنونة .

(٨) ملامح القاهرة ص ١٢٦ .

فتفرض مقاديرا من الخراج يتعذر بواقع الحال اجابتها مما يدفع المنتجين لهجر أدوات أنتاجهم وأراضيهم وأوطانهم هربا بحياتهم حيث أن البقاء فى الأرض مع اجابة مطالب الجباة يعنى الموت جوعا أو تحت سنانك خيولهم ، وان لم تكن الهجرة فلا سبيل غير الصدام واراقة الدماء .

ولقد كان خطاب اسماعيل باشا للشايقية فى بداية الغزو مطالبا لهم بتسليم خيولهم وسلاحهم وأن أباه قد أمره أن ينشئ منهم شعبا من الفلاحين لا شعباً من المحاربين كان ذلك بمثابة منفستو النظام الجديد .وقد كانت مطالبه المغالية للمك نمر ملك السعداب فى شندى ورد المك نمر بأن هذه الطلبات غير معقولة ولطم الباشا له وتداعى الاحداث إلى ان حرق اسماعيل . كان ذلك لوحة مصغرة دقيقة التفاصيل لتاريخ مرحلة بأكملها .

ولأن طبيعة النظام هذا تريد أن يستأثر سادته بكل شئ ، لابد له لكى يستقر فى الحكم من نظام عقابى يتناسب مع مطالبه ، فمثل هذه الطبقة الغير مشاركة فى عملية الإنتاج لا سبيل لبقائها الا بأن تكون مدججة بالسلاح من قمة رأسها لأخمص قدميها .

ولعل مشهد غردون فى عشية سقوط النظام التركى وهو يجمع دفاتر الضرائب على الأطيان فى ساحة عمومية ويضع فوقها السياط والآت التعذيب التى كان يستعملها الحكام واضرام النار فيها ومضة عبقرية يائسة تلخص روح العصر الذى كان يلفظ انفاسه الأخيرة

القسم الثاني

الأعدادات والتصفيات الفردية والجماعية
في دولة المهديّة

مصادر التجريم والعقاب في دولة المهديّة

تجاوز قانون الدولة المهديّة أحكام الشريعة الإسلامية السنية بإضافة نطاق جديد لدائرة التجريم والعقاب. وهو النطاق المتعلق بالتصديق بالمهديّة وأتباع تعاليمها والأنصياح لأوامر وقرارات أولى الأمر في دولتها. فصارت الأحكام الجنائية العادية تختص بها أحكام الشريعة الإسلامية في الحدود والقصاص إضافة لاختصاصها بقضايا الأحوال الشخصية بينما صارت أحكام الجرائم السياسية داخلة في نطاق مبدأ المهديّة نفسه. فعدت الامامة والخلافة من بعدها ركنا من أركان الدولة، وإن عدم الإيمان بهما يخرج بمرتكبه من ملة المؤمنين ويوقعه تحت طائلة العقاب.

فيذكر المهدي في منشور الدعوة في مطلع أمر المهديّة « وحيث الأمر لله والمهديّة المنتظرة أرادها الله وأختارها للعبد الفقير محمد أحمد بن السيد عبدالله فيجب التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله وبعد هذا البيان فالؤمن يؤمن ويصدق لأن المؤمنين هم الذين يؤمنون بالغيب ولا ينتظرون لآخبار أحد فمن انتظر بعد ذلك فقد استوجب العقوبة لانه صلى الله عليه وسلم قال : من شك في مهديّته فقد كفر بالله ورسوله ثلاثاً » (١).

(١) منشورات المهديّة / تحقيق أبو سليم ص ٢٧.

وتمضى المناشير فى تحديد مصير المعارضة الداخلية للمهدية ولعل أوضح المناشير بصددها ما أصدره المهدي أثناء حصار الخرطوم « أما بعد فمن بعد قتل الكفرة وفتوح المديريات نرجع على كل من خالف أمرنا نقتله وننفذ أشارته صلى الله عليه وسلم ونحى دين الله » (٢). وكثير من المناشير ذهبت فى هذا الاتجاه رابطة لفلسفة العقاب بالمصدر الألهى ، فطاعة الله ورسوله بطاعة المهدي وقتل المكذبين بأمر المهدية تنفيذ لشارة الرسول وأحياء للدين .

وتبدو ملامح هذه الفلسفة العقابية بوضوح أكثر عند خضوع أحد أنصار المهدي لعقوبة من العقوبات ، نتيجة مخالفته لأمر ما حيث يبين المهدي فى مخاطبته للمعاقب المقصد الدينى وراء العقوبة . ولعل رسالة المهدي إلى الملك آدم عمر بعد سجنه نتيجة خلاف مع الخليفة عبدالله ، وقضايا أخرى تبرز هذه الفلسفة العقابية فكتب المهدي للملك عمر يفيد به بأن سجنه كان لتصفيته ذاكراً . (فمن كان له نصيب عند الله أتى الله طوعاً أو كرهاً . ولولا ما ظهر عليك الذى ظهر لكنت تروح منطوى على النفاق ، أعاذنا الله وأياكم من ذلك ولكن رحمة بك أظهر الله عليك هذا لتزيل عنك ما يشقك ويفوت عليه النعيم الدائم فأفرح بما كان لك كفارة من الحبس والسجن فإن ذلك خيراً لك فإن الجنة محفوفة بالمكاره والنار محفوفة بالشهوات والعبد المؤمن يؤجر رغم أنه) (٣).

وفى هذا المعنى خاطب المهدي العديد من المعاقبين مبيناً أن السجن لتصفيتهم وخلصهم . أمثال الخليفة عبدالله أبى صفية ، وصالح الملك وعبدالله المسلمانى (لبتون بك) وغيرهم . ونلخص رؤيته هذه فى مخاطبته لأدريس حسن الساير الذى كان بمثابة مدير سجن المهدية فقد

(٢) الآثار الكاملة للإمام المهدي المجلد الرابع ص ١٨٩ منشور بتاريخ ٢٥ ربيع اول ١٣٠٢ هـ الموافق ٣ / يناير / ١٨٨٥ .

(٣) الآثار الكاملة للإمام المهدي : المجلد الثانى جمع وتحقيق أبو سليم ص ٢٣٨ .

كتب إليه يحثه على الرفق بالمساجين ويأمر بأن يقضى المساجين وقتهم بالعبادة لأن القصد من السجن هو الكفارة والدلالة إلى الله (٤).

وكانت نفس الرؤية تمتد لتشمل عقوبات رادعة كالاعدام ولعل ما أشيع بعد اعدام المنة اسماعيل من أن المهدي قال بأن الفكي المنة طهره القتل وعفا عنه يدل على ذلك (٥).

ويمكننا القول فيما يتعلق بدائرة التجريم والعقاب في دولة المهدي بأنه قد صار هناك مصدراً جديداً متجاوزاً أحكام الشريعة الإسلامية السنية يطوق المعارضة للمهدية والمناهضة لدولتها ويتكون هذا المصدر من قول المهدي ومبادئه وأوامره المبشورة في المنشورات والرسائل والقرارات التي تصدر عنه.

ولهذا المصدر رافداً آخر لا يقل عن منبع الأحكام الأول في مقامه وهو الخليفة عبدالله التعايشي وما يصدر عنه من أوامر وقرارات . وقد أسس المهدي نفسه هذا المصدر في حياته على أسس متينة ولم يترك مناسبة دون التأكيد عليه فبعد أن ظهر المنافسون للخليفة في موقعه يصدر المهدي منشوراً عن مقام الخليفة عبدالله ووظيفته ويقول : (فحيث علمتم ذلك يا أحبائي أن الخليفة عبدالله هو مني وأنا منه أشار إليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فتأدبوا معه كتأدبكم معي وسلموا له ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه ولا تتهموه في فعله) . ويقول (وأعلموا أن أن قضاءه فيكم قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلموا أن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب . ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم) (٦).

(٤) الآثار الكاملة للإمام المهدي : المجلد الخامس تحقيق وجمع أبو سليم ص ٢٩٩ .

(٥) جهاد في سبيل الله / على المهدي ص ٤٩ .

(٦) منشورات المهديّة تحقيق أبو سليم ص ٦٦ .

وحتى نقف على أهمية الخليفة عبدالله كمصدر للأحكام حتى في حياة المهدي وعمل المهدي على خضوع أصحابه وأنصاره للخليفة وتوضيح مقامه لا بد أن نستعرض بعض أقوال المهدي في حقه في رسائله، فيقول المهدي للملك آدم عمر مشيراً إلى معارضة الأخير للخليفة ويطلب منه أن يعتذر له . (وتعلم أن الخليفة عبدالله هو خليفة الصديق الذي سبق أصحاب النبي بالفضل والعون الذي لا يشركه فيه أحد .) ... (عبدالله هذا هو يدي وعضدي وعونى وعيبة سرى يشهد بذلك الوارد والصادر وجب على جميع أصحابى توقيره وأتباعه) (٧) .

ويكتب المهدي إلى عبدالله عوض الكريم أبو سن وعموم الشكرية طالباً حسن الظن بالخلفاء خاصة الخليفة عبدالله خليفة الصديق « فإنه أحرى بجميع ما ذكرته في أصحابى مع خواص خصه الله بها » (٨) .

وكتب المهدي إلى أحبابه وأصفيائه طالباً حسن الظن بأصحابه وخلفائه « خصوصاً خليفة الصديق فقد خصه الله بخواص الهية لم تكن في غيره » (٩) .

وكذلك يكتب المهدي إلى قريبه وعامله على الأبيض وكردفان محمود عبدالقادر في شأن الخليفة فيقول : (ولا سيما خليفة الصديق الذي نبهنا الأخوان أن من لم تكن فيه محبة وافرة لأجل الله طاعة لنا فلا ينفع أيمانه ولا تدخل فيه المذاكرة التي تحي القلوب .) ونقل المهدي عن نبي الله الحضر عليه السلام أنه قال : (من لم تكن له محبة في الخليفة عبدالله لا تنفعه ولا تحييه مذاكرة المهدي كما لا تحي المطر العشبة اليابسة المنقطعة) (١٠) .

(٧) الآثار الكاملة للإمام المهدي المجلد الثاني ص ١٧٢ .

(٨) الآثار الكاملة للإمام المهدي المجلد الرابع ص ١٦ وما بعدها .

(٩) الآثار الكاملة للإمام المهدي المجلد الرابع ص ٧٠ .

(١٠) الآثار الكاملة للإمام المهدي المجلد الرابع ص ٤٠٣ / ٤٠٤ .

وعندما آلت مقاليد الحكم للخليفة عبدالله راح يدعم سلطته بنشر مناشير المهدي في شأنه ويؤكد من ناحية أخرى استمرار كرامات المهدي تحت رايته وينشر الكرامات والعلامات التي تؤيده فتتدفق به الهواتف وبايعته جموع من قبائل الجن يقال لهم الشمسسيون وهجروا أوطانهم وأستقروا بجبال أم درمان وأختاروا الأنضمام للراية الزرقاء رايته سابقا وراية شقيقه يعقوب (١١).

وتحصل للخليفة الحضرة ويتلقى الوحي في سلسلة تنتهي بالخضر نبي الله فيذكر في منشوره الشعرة : « وبعد أن سلم الخضر عليه السلام قال لى ربك يقريك السلام والملائكة يقرونك السلام والنبي صلى الله عليه وسلم يقريك السلام والمهدي عليه السلام يقريك السلام ويقول لك : بارك الله فيك فى ما صنعت فى الدين ويقول لى الخضر عليه السلام : قال لك المهدي عليه السلام أن الله أخبر جبريل وجبريل عليه السلام أخبر النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر المهدي والمهدي عليه السلام أخبرنى أنا بأن أخبرك بأن الله جعلك هدية فى الأرض من مشرقها إلى مغربها . ويقول : الحباك وتبع قولك قبل منا الهدية، والذي يقبل منا الهدية قبلناه وأمن مكر الله » (١٢).

ثم ينتهى الأمر بالخليفة فى دعم مشروعية العقوبات التى ينفذها والأجراءات التى يتخذها بتلقى الحضرة النبوية مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم دون وساطة فيذكر فى حضرة يتعرض فيها إلى مكانته وبعض أجراءاته « أنه قد حصلت لى حضرة نبوية مبشرة حضر لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ومعه المهدي والخضر عليهما السلام » ثم أخبرنى صلى الله عليه وسلم أن كافة الاجراءات التى حصلت منى كقتل

(١١) منشور الشعرة / منشورات المهدي تحقيق د . أبو سليم ص ٩٥ وما بعدها .

(١٢) المرجع السابق ص ٩٨ .

(١٣) المرجع السابق ص ١٠٥ .

صالح الكباشى وولد أبو روف ودارفور وما فعلته بالشكرية والبطاحين بالبقعة وغيرها فهو الصواب» (١٣). ثم أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدة أقامتى فى الدنيا ومفارقتى لها وما سيصير فى الكون بيدي وبالوقت الذى ينزل فيه نبي الله عيسى .

وهكذا يطوق الخليفة أى معارضة بهذا النسيج من الأحكام ، ولا يقع فى نطاق البحث النظر فى صحة هذه المتون من ناحية عقائدية ، إنما يهمنى أن نتوصل إلى دائرة التجريم والعقاب فى ظل دولة المهديّة والمرجعية فى تحديد الأحكام والقول بها والوقوف على النظام القانونى ومصدر السلطات التى بموجبها وسندها تتم اجراءات العقاب والردع . فهى تهمنا فقط من ناحية شرحها للنسيج الايدولوجى الذى تدثر به عنف الدولة ضد المعارضين . وسنتطرق لهذا النسيج كلما سنحت الفرصة فى تناولنا لحالات الاعدام المختلفة تعميقا لشرحه والوقوف على طبيعته .

أذن يمكننا أن نلخص أن مصادر التجريم والعقاب اختصرت على مصدرين هما الإمام المهديّ ومنشورات وأوامره ، وكذلك الخليفة عبد الله وأوامره . وكل أحكام نفذت من قبل قادة آخرين إنما تستند بأوامر المصدرين أو ظلال هذه الأوامر كما شاء منفذى الأحكام تفسيرها .

تحديد وتقسيم

حفلت حقبة المهديّة وفترة حكمها بالكثير من الاعدامات السياسية والتصفيات الفردية والجماعية . فقد كان مجتمع الدولة المهديّة حافلا بالصراعات حول السلطة والثروة شأنه شأن المجتمعات الأخرى . وقد لعبت الرواسب القبلية والحتيولوجيا الدينية دورا بارزا فى طبع الصراع

بطابعها ودفترته بغلالة كثيفة تكاد أن تحجب جذوره الحقيقية وستتطرق لهذا بالقدر اللازم لأغراض البحث حول الأعدام السياسى .

نلاحظ أن حكومة المهديّة قد أولت الخلافات العقائدية أهتماما بالغا ورفعتها إلى مصاف (الجرائم) السياسة من الدرجة الأولى وواجهتها دون تردد بعقوبة الأعدام . لذا سنتناول هذه (الجرائم) العقائدية بشئ من التفصيل بتناول نماذج من الاعدامات التى صدرت فى حق مرتكبيها وسلوك السلطة فى مواجهتهم والاجراءات القانونية المتخذة من محاكمات ومجالس قضاة وأستنطاق ، أى باختصار الملامح الاساسية للتهمة والسلوك القانونى للحكومة فى مواجهتها .

كما كانت نزعة الأستقلال لدى الجماعات والمجموعات القبلية وزعاماتها سببا وراء الكثير من التصفيات ، ودفعت السلطة لاجراءات عقابية صارمة ويمتزج ذلك على وجه الأخص مع سياسة الهجرة التى أتبعها الخليفة عبدالله التعايشى -بغطائها الأيدولوجى - للتغيير من توازنات القوى لصالح الحكومة فى العاصمة ووضع معارضيها الحاليين والمحتملين تحت رقابتها .

كما سنتابع بشئ من التفصيل الاعدامات الناتجة عن الصراع حول السلطة والاعدامات التى طالت رجال الدولة من الذين احتلوا مناصب رفيعة ثم دارت الدائرة عليهم وتم اعدامهم تحت تهمة مختلفة ونرجع إلى الأسباب الحقيقية التى وقفت وراء اقصائهم من دائرة الحكم وادراجهم فى قائمة اعداء السلطة ومن ثم تصفيتهم بأحكام الاعدام .

وسنتابع اعدامات قطاع هام فى جيش المهديّة والمتمثل فى الجهادية ونقف على تمرداتهم وأسبابها وسلوك المجتمع والسلطة تجاههم .

كما سنتابع مصير الأسرى ومعاملتهم حال خضوعهم لأفعال مفضية لأنهاء الحياة وسنضمن سياق معالجاتنا التركيز على أبراز المثلة بأجساد

- المعدومين وطريقة معاملة السلطة لجسد المحكوم عليه وأستغلاله .
- وفى الفصل الختامى تتناول الجذور التاريخية للتقاليد العقابية والمتمثلة فى وسائل الاعدام التى تم استعمالها فى العهد محل البحث .
- وعليه يكون بحثنا التالى فى حالات الاعدام تحت العناوين الآتية :
- (١) اعدامات (الجرائم) العقائدية .
 - (٢) الاعدامات فى مواجهة نزعة الأستقلال .
 - (٣) الاعدامات والتصفيات فى الصراع حول السلطة .
 - (٤) اعدامات كبار موظفى الدولة .
 - (٥) اعدامات تمردات الجهادية .
 - (٦) اعدامات الأسرى .
 - (٧) الجذور التاريخية للتقاليد العقابية فى دولة المهديّة .

الاعدامات فى مواجهة (الجرائم) العقائدية

تشمل هذه الجرائم كل ما ينال النظام العقائدى لمبادئ المهدية من معارضة وتدرج من إنكار المهدية وتكذيب الدعوة من أساسها إلى الخوض فى أحد قواعدها العقائدية وادعاء تعديل عليها لم يأت به أولى الأمر فى المهدية .

وقد واجهت حكومة المهدية هذا النوع من المعارضة بحزم وحسم وكانت عقوبة الاعدام هى الرد الوحيد على مثل هذه المعارضة وفى كل الأحوال كان الشنق مع الصلب نصيب مرتكبيها ، هذا إذا لم يسقط فى الصدام مع قوات المهدية وأجتز راسه فى المعركة ويستوى فى ذلك أن يتخذ المعارض موقفا برفع السلاح فى وجه الدولة أو يكتفى ببث أدعائه سلمياً أو يقف عند حد التحريض ، وفى كل الحالات كانت العقوبة واحدة .

وقد كانت هذه المعارضة تأخذ أحد شكلين من الناحية الأيدولوجية فاما أن تستند إلى التراث الفكرى للإسلام السننى وتتسلح بالأدلة الشرعية وأما أن تنهل من المعين الذى نهلت منه المهدية نفسها المستند إلى تراث الصوفية وعلم الباطن وقد يتنكب المعارض نفسه الهواتف السماوية والحضرات . ونستعرض فيما يلى أبرز حالات الاعدام فى مواجهة الجرائم العقائدية .

أ / اعدام القاضي ميرغنى تميم :

القاضى ميرغنى تميم أحد علماء مملكة تقلى البارزين وقد كان يقود معارضة العلماء فى تقلى عندما أتصل المهدي بالملك آدم وطلب منه أن ينحاز للثورة المهدية . ولم يرض هو والعلماء باتفاق المهدي مع الملك آدم على الرغم من الحدود الضيقة لهذا الاتفاق . بل حرصوا الملك على قتل المهدي وأهدار دمه فالمهدي فى نظرهم نبي زائف وقتله واجب ديني (١) .

وبعد أن تم فتح الأبيض طلب المهدي من الملك آدم الهجرة إليه وخاطبه عدة مرات فى هذا الشأن ، وذهب الملك بصحبة القاضي ميرغنى لزيارة المهدي على الرغم من معارضة العلماء لذهابهم وحين قابل القاضي ميرغنى ود تميم المهدي جاهر بتكذيبه وقال ببطلان دعوته فى وجهه فسيق بعيداً ونفذ فيه حكم الاعدام (٢) .

ومن هنا يتضح أن القاضي ميرغنى قد أعدم لتكذيبه لدعوة المهدي جملة وتفصيلاً وقد كان وفياً لأعتقاده وهو فى قبضة المهدي وهو فى أوج انتصاراته بعد فتح الأبيض عاصمة كردفان والالوف تتقاطر مهاجرة إليه .

ويبدو أن الوزن السياسى والنفوذ اللذان تتمتع بهما شخصية ميرغنى فى الجبال من العوامل التى عجلت فى التخلص منه فقد ذكر د . زاهر رياض أنه كان وزير للملك آدم .

كما وصفه كل من د . عبدالله على إبراهيم ود . أبو سليم بأنه القائد لمعارضة العلماء فى جبل تقلى وتبدو أهميته فى تركيز المهدي على خصه بالخطاب فى مطلع رسالته للملك آدم حيث كتب : (إلى الملك آدم عمر والقاضى ميرغنى وأهالى جبال تقلى .) (٣) فإن ذكر أسمه بعد الملك

(١) عبدالله على إبراهيم الصراع بين المهدي والعلماء ص ١٥ .

(٢) المرجع السابق + د . زاهر رياض ص ٣٩ .

(٣) الآثار الكاملة للإمام المهدي المجلد الثالث : ص ١٠٠ .

يدل على أن المهدي كان يضع له اعتباراً كبيراً على الرغم من وجود عدد من العلماء المرموقين في صفوف المعارضين في مملكة تقلى .

ب / اعدام فخر الدين حسن المعلاوى :

بينما كان المهدي يتأهب للزحف نحو الخرطوم ظهر رجل من أبناء الغرب يدعى فخر الدين حسن المعلاوى وأدعى أنه خليفة المهدي وكاتب المهدي ذاكرًا أنه قد سمع هاتفًا من عند الله (بأننا جعلناك خليفة في الأرض) وقد خاطب المهدي هذا الرجل في رسائله بكثير من اللطف وكاتبه ناصحًا بصدق الأيمان وصفائه مستشهدًا بالآيات الكريمة وشرح له مقام الخليفة التعايشي المعين من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم واجتمع على تأييد خلافته الأولياء في بيت المقدس ويقولون (الحمد لله الذي أظهر المهدي وجعل عبدالله وزيره .) ويمضى خطاب المهدي في تبيان قدر الخليفة عبدالله « وثم وجد اجتماع الشياطين وهم مهتمون يقولون كان عيشنا بالغش والخداع والمكر والكذب وأتى المهدي وقطع علينا عيشنا ولولا عبدالله وزيراً له وكان الخليفة غيره لكنا نجد في المهديّة دخولا) ثم نصحه المهدي بأن يأتي للخليفة عبدالله (٤).

وفي خطاب تالي من المهدي لفخر الدين يفسر له معنى الاستخلاف المعنى به بأنه محدود بالخلافة على أهل بيته وذريته فهو خليفة لخليفة المهدي في هذا النطاق (٥) وحضر فخر الدين وعهد به للخليفة عبدالله فحبسه بعض الوقت وقتله (٦).

من الواضح أن (جريمة) فخر الدين تتلخص في أنه أتى بفكرة وموقف يناقض معالم النظام العقائدي الأساسية للمهديّة من ناحية ويناقض من ناحية المعالم الأساسية للدولة المهديّة ومبادئها التي رسمها

(٤) المرجع السليق ص ١٨٠.

(٥) المرجع السليق ص ٨٣.

(٦) نعوم شقير ص ٤٩٢.

الإمام المهدي، فقد أنجز المهدي المعالم الأساسية للدولة ومصدر السلطات عند عكوفه في قدير . ففي قدير وضع كتاب (الراتب) وعين خلفائه الثلاثة واختار لهم القاب الخلفاء الراشدين تيمنا بالرسول فسمى الخليفة عبدالله خليفة الصديق وعلى ود حلو خليفة الفاروق ومحمد شريف خليفة الكرار . كما ظهر منصب قاضي الإسلام (٧). وكان ادعاء فخر الدين ينال من هذا النظام ويطالب ضمناً بتعديله الأمر الذي لم يتسامح معه الخليفة عبدالله خاصة وأنه يتعلق بخلافته وإعادة النظر فيها ومما يؤكد أهتمام المهدي بأمر فخر الدين حرصه على مراسلته برسالتين يفصل تاريخهما يوماً واحداً . فقد كانت الأولى يوم ٢ / شوال / ١٣٠١ هـ الموافق ٢٦ / ٧ / ١٨٨٤ وتلتها الثانية في يوم ٤ / شوال / ١٣٠١ هـ فعلى الرغم من مخاطبة المهدي لفخر الدين بلهجة النصح إلا أنه مدرك لخطورة ما يجره ادعاؤه بالنسبة للنظام الذي رسمه .

ونلاحظ أن فخر الدين لم يتخذ أى موقف عدائي من نظام المهديّة بل طلب مكاناً في إطار نظامها ويشير المهدي في رسالته إلى ذلك قائلاً: (والحمد لله إذ جئت منيباً بلا سيف فنرجو الله على جوابك هذا أن يزيل عنك كل حيف .) وفي نهاية الأمر يمتزج في جريمة فخر الدين العامل الديني بالعامل السياسي . فمن ناحية هي أدعاء في شأن من شئون العقيدة ومن ناحية أخرى هي مطالبة بمكانة في هرم سلطتها ويلاحظ د . أبو سليم في تعليقه على هامش رسالة المهدي الأولى أن هذا موضع من المواضع النادرة التي يستعمل المهدي فيها تعبير وزير في الاشارة لمكانة الخليفة عبدالله .

ج / اعدام العلماء دفع الله بقوى / يوسف أحمد / والعالم طه
كان هؤلاء العلماء يشكلون القيادة الروحية في مملكة تقلى وتمتع بعضهم بمكانة سامية ودفع الله ود بقوى ينتمى إلى بطن من بطون

(٧) تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠ - ١٩٥٥ د . القдал ص ١٣٠ .

العركيين وكان عالماً مرموقاً وذا صيت واسع في الجبال وندل على أهميته بأن المهدي قد خصه برسالة في مراحل الدعوة الأولى عام ١٨٨١ يوضح فيها علامات المهديّة وانطباقها عليه ويحثه على الهجرة . وقد ذكرت في الحديث عن اعدام القاضي ميرغني أن جملة علماء تقلى قد تصدوا للمهدي ونقل د . عبدالله على إبراهيم رواية محلية تذكر أن المهدي في زيارته الثانية تقلى ناظره مجلس من العلماء وهم القاضي ميرغني والعالم طه والشيخ دفع الله ودبقوى ولم يعترفوا له بالمهديّة (٨) .

وفيما يبدو لم يهاجر المذكورين مع المك آدم والقاضي ميرغني إلى المهدي بعد فتح الابيض وواقعة شيكان وظلوا في الجبال رافضين للمهديّة الى ان وجه المهدي حمدان أبو عنجه إلى حرب الجبال . وفي رسالة إلى حمدان يبين المهدي أوامره تجاه هؤلاء العلماء فيقول (.. أما دفع الله بقوى فأمنوه وطمنوه ومتى قابكم فارفقوا به وارسلوه لنا لتربيته (٩) أما العالم أحمد فيفرد المهدي حاشية في الخطاب بشأنه قائلاً : (قد ذكرنا لكم بالجواب باطنه أن يوسف أحمد أرسلوه لنا لتربيته . فهذا أن كان منيباً إلى الله وتائباً عن مافات . وأما أن كان مصراً على ما هو عليه من العناد والسعى في الأفساد فاقتلوه وطهروا به الأرض ليكون ذلك إقامة للدين وعبرة للمعتبرين ولكمال معلوميتكم لزمت التحشية (١٠) .

وهنا يظهر أن المهدي قد فرق في معاملة هؤلاء المعارضين ويبدو أنه لم يكن راغباً في اعدام دفع الله ودبقوى ربما املا في هدايته أو لمكانته السامية بين أهالي الجبال بينما أصدر أوامره بشأن يوسف أحمد تاركا الخيار لحمدان أبو عنجة في اعدامه أو الأبقاء عليه لعوامل التربية الروحية . وعلى كل حال لم تمهل الأيام المهدي لمعالجة الأمر وأشدت

(٨) عبد الله على إبراهيم / الصراع بين المهدي والعلماء ص ١٥ .

(٩) الآثار الكاملة للإمام المهدي المجلد الخامس ص ٣١ .

(١٠) المرجع السابق ص ٣٢ .

معارضتهم بعد وفاته وقد إستغلوا الموت المفاجئ، للمهدى لتكذيب أحد علامات المهديّة الموجودة في الكتب وهي تلك المتعلقة بميقات وفاة المهدي^(١١) واشتركوا في حروب الجبال سنة ١٣٠٢ هـ وقد ظفر بهم حمدان أبو عنجة ورفع أمرهم للخليفة فأجازه بقتلهم وتم اعدامهم في أكتوبر ١٨٨٥ م^(١٢).

د / شنق وصلب محمد نور (فبراير ١٨٨٧) :

محمد نور رجل من الفادنية جاهر في ام درمان بانكار المهديّة ورفض الصلاة في الجامع وقد كانت الصلاة في الجامع شرطاً أساسياً من شروط الولاء للمهديّة . وقد كان الخليفة عبدالله حريصاً على أن يؤم جميع رجال أم درمان المهمين الجامع لاداء صلاة الجماعة في كل الأوقات . قبض على الرجل وحوكم بمجلس من القضاة فأصر على إنكاره وأنكر قتل المهدي لأهالي الخرطوم وغيرهم . وقد دارت مناظرة فقهية بين محمد نور الفادني والقضاة ولم يرجع عن رأيه فحكموا باعدامه شنقاً مع الصلب .

ونظن أنه بعد الصلب قم تم العبث بجسمانه المصلوب فقد كتب الخليفة لحمدان أبو عنجة بعد صلبه " أنه قد أكلت النار لسانه ولحيته ويديه ورجليه وسرحت فيه وتغير لونه والعياذ بالله من ذلك وبعد ذلك أمرنا فاخرج من الديم خارج قبور المسلمين" ^(١٣).

ومن الواضح أنه لا يترتب على الشنق والصلب اشتعال النار بالجسد . ونلاحظ إنه بدفن محمد نور خارج مقابر المسلمين أنه قد اعتبر في نظر السلطة مرتد عن الدين الإسلامي كله بانكاره للمهديّة .

(١١) تاريخ كردفان السياسي ص ٨٣ .

(١٢) منشورات المهديّة د. محمد إبراهيم أبو سليم ص ٢٣ .

(١٣) نعوم شقير ص ٨٠١ / القدال ص ٢١١ .

هـ / صلب الشيخ محمد عبد الماجد :

الشيخ محمد عبدالماجد من أهالى مديرية بربر أمتنع عن الصلاة فى مسجد الخليفة وكان يصلى بجيرانه فى البيت ويعظمهم منكرا المهدية وأفتى بقتالها كبدعة وضلالة فقبض عليه وأثنين من جيرانه وأجتمع القضاة برئاسة الخليفة على ود حلو وأستنطق المتهمون فلم ينكر الشيخ محمد عبدالماجد ودافع عن دعواه بالأدلة الشرعية بينما أنكر رفيقاه فأمروا بصلبه فنفذ الحكم بالصلب فى الشيخ وأعفى رفيقاه من الصلب وأستبدلت العقوبة عليهما بالسجن^(١٤).

و / شفق آدم محمد البرقاوى مدعى نبوة عيسى وأنصاره ١٨٨٧ :

أدعى رجل يسمى آدم محمد البرقاوى وهو أحد الأنصار المرابطين فى جيش القلابات أنه نبي الله عيسى وأسر بدعوته إلى عدد من أمراء الجيش فصدقه عشرة منهم وعاهدوه على نصرته وأن يكون السر فيما بينهم واتفقوا على دعوة القائد يونس الدكيم سرا فإذا لم يوافقهم يقتلوه ، فأنكشف أمرهم نتيجة وشاية من أحد الأشخاص ليونس فقام بجمعهم فى المسجد وواجههم بالتهمة فلم ينكروها فتركهم إلى أن حضر حمدان أبو عنجة فاستدعى حمدان صاحب الدعوة وأنصاره واستجوبهم فى مجلس من القضاة وأجاب محمد ادم البرقاوى بأنه نبي الله عيسى وأكد أنصاره من الأمراء أنه على حق وأنهم مصدقون لدعواه .

ودارت مناظرة بين آدم ونواب الشرع حول علامات عيسى عليه السلام وظهوره ، وشارك فى الرد بعض مصدقيه وأظهر آدم موقفه من الخليفة مؤكدا أنه تحت إشارة الخليفة إلى وقت معلوم وقال أن أوانه لم يحن بعد وليس للمجلس شأن به الآن لأنه لم ينذرهم بعد .

رفع حمدان أبو عنجه ويونس الدكيم للخليفة أمر آدم محمد

(١٤) إبراهيم فوزى الجزء الثانى : ص ١٩٦ .

البرقاوى وانصاره بعد ايداعهم فى السجن فكتب الخليفة إلى أبى عنجة أمرا باعدام آدم وخيرَه بين قتل أنصاره من امراء الجيش وسجنهم . وحال وصول كتاب الخليفة نصب حمدان المشنقة وشنق ادم وانصاره جميعاً ، واحدا بعد الآخر أمام الجيش . ثم جز رؤوسهم وأرسلها إلى أمدردان حيث علقت فى السوق .

وكان من أنصار البرقاوى عبدالله البرقاوى ومحمد عمر المشهور بأبى القرشى ومهاجر اسماعيل وعيسى أحمد والطيب محمد بن البديرى ومحمد أحمد أبو أم فضالى الحمري والطائف أحمد وهنون النيل الهباني ومحمد حسين البقارى ومحمد على البرناوى وعبد الله جاموس وعثمان أحمد المغموس وجميعهم امراء رايات (١٥) .

وتكمن خطورة هذه الدعوى بأن ظهور نبى الله عيسى مرتبط بفكرة المهديّة إذ أنه يأتى بعد المهدي كعلامة من علامات الساعة الأمر الذى يأذن بزوال سلطة الخليفة عبدالله مما يجعل الفكرة من أقوى الأسانيد لمنازعة الخليفة ويلاحظ أن كل المصدقين لادم فى دعواه من أبناء الغرب فكما أشار د . القدال فى الإسلام والسياسة فى السودان (كانت رياح المهدي المنتظر التى تهب من غرب أفريقيا تجدها لها مدارا صالحا فى السودان) (١٦) وهم يشكلون عضد الخليفة وسنده فكان لا بد من التصدى بصرامة لمثل هذه الدعوة .

ولم يكتفى الخليفة بالعقوبات التى نفذت فى أنصار نبوة عيسى بل أصدر منشوراً يبين العقوبة التى يلقيها مدعى نبوة عيسى فى الآخرة ومن يتبعه ذاكراً أنه قد كان يستغفر لهم الله ويطلب الصفح عنهم فهتف به هاتف بعد صلاة الصبح أن يبتهل لله حتى حلول النافلة ففعل وصلى

(١٥) حول حركة ادم البرقاوى انظر نعوم شقير ص ٧٣٤ وما بعد/ القدال ص ٢١٠ .

(١٦) الإسلام والسياسة فى السودان/ ١٦٥١ - ١٩٨٥ د . محمد سعيد القدال ص ٧٠ .

ركعتين وطلب لهم المغفرة (فانكشف لى حالهم انكشافا روحيا فرأيتهم معذبون فى نار جهنم عذابا شديدا) ووصف أوضاعهم فى جهنم (فكان صاحب الدعوة قد غيب فى جهنم وعليه دوى شديد وعليه صراخ وزفرات وولد بقادى من تحته مما يلى قعر جهنم وعبدالله البرقاوى من فوقه وأبى القرشى ووزيره والطائف كذلك وهم على طبقات من العذاب وأما هنون وأبو ام فضالى وعبدالله جاموس وباقى الجماعة فهؤلاء يغيون تارة ويظهرون تارة أخرى .) وذكر الخليفة فى المنشور (وفى تلك الساعة مر عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فاستغاثوا به فأحال أمرهم إلى المهدي عليه السلام ثم استغاثوا بالمهدي عليه السلام فقال لهم خالفتم الخليفة عبدالله فأمركم بيده فلما رأيتهم بهذه الحالة الشنيعة إبتهلت إلى الله فى الاستغفار لهم مدة وهم يمدون أياديهم بطلب الأغاثة وأنا فى ابتهالى إلى الله فى سلامتهم فسمعت مخاطبا خاطبنى بأن الباب الذى دخلوا منه ليس باب التوبة بل هو باب الكفر لكونهم ماتوا على غير ملة الإسلام وكل من دخل من هذا الباب لا يغفر له .) (١٧)

وهكذا فى عقاب الأخرة لهذه الجريمة لم تجدى الاستغاثة بالنبى ولا المهدي ولا بالخليفة نفسه بعد الاحالات المتواترة التى أشار إليها الخليفة فى كشفه . مما يبين عظم هذه المعارضة فى نظر الخليفة عبدالله وخطرها وكثافة الغطاء الايدولوجى للعقوبات التى نفذت فى هذه الحالة وتعميق حالة الأرهاب من ارتكاب مثل هذه المعارضة بين الناس .

ونكتفى بهذا القدر من الاعدامات المترتبة على مخالفة عقيدة المهدية لكن بقى لنا أن نشير إشارة هامة وهى أن الأسس العقائدية فى المعارضة تتمزج أحيانا بمطامح الاستقلال عن السلطة المركزية كما حدث فى حركة أبو جميزة الشهيرة إذ أتحد أبو جميزة مع أبى الخيرات شقيق

(١٧) منشورات المهدية تحقيق أبو سليم / الخرطوم ١٩٦٩ ص ١٠٢ .

الأمير يوسف الذى تم قتله فى نضاله من أجل الأستقلال بدارفور فكان مواصلة لنزعة الفور نحو الأستقلال وقد أدعى أبو جيميزة خلافة عثمان بن عفان ذلك الكرسي الذى ظل شاغراً فى نظام المهديّة وخاض نضالاً ضروساً ضد المهديّة وهزم جيوشها عدة مرات الا أنه مات فجأة بالجدري وخلفه أخوه ساغة وزحف نحو الفاشر فهزمته جيوش الأمير عثمان واجتز رأس ساغة ورأس وكيل بن سلطان سلا وفر أبو الخيرات (١٨).

ولم تتوقف هذه الحركات التى تقوم على أساس تنبؤى حتى السنوات الأولى للإدارة البريطانيّة.

(١٨) نعم شقير ص ٧٢٠ وما بعدها.

الاعدامات والتصفيات فى مواجهة نزعة الإستقلال

أرتبطت هذه الاعدامات بمعارضة سياسة تهجير القبائل الجبرية التى فرضها الخليفة عبدالله التعايشى على المجموعات القبلية المختلفة . فقد أعتبرت الهجرة فى نظام المهديّة ركناً أساسياً من أركان العقيدة ورمى الخليفة من خلالها إلى تنفيذ سياسات متعلقة باستقرار السلطة من حيث خلق سند شعبى لها فى عاصمة البلاد بتهجير قبائل الغرب ومن ناحية أخرى قصد أضعاف المعارضة المحتملة من القبائل بفصلها عن مواطنها ووضعها تحت الرقابة المباشرة للسلطة .

وقد قضت هذه السياسة على المقوم الأساسى الذى يشكل العمود الفقرى لأى دولة الا وهو إنتاج الحياة المادية والمتمثل فى الحياة الاقتصادية لمجموعات السكان فقد ترتب على سياسة الهجرة إنتزاع القبائل من مواقع العمل ووسائل إنتاجها وترتب عليها ضرب لمجريات الحياة الاقتصادية وتقويض لتوازنها ، وفى أحسن الفروض زعزعة أستقرارها .

وبذا فقدت الدولة العمود الفقرى لهيكلها وتحولت العاصمة إلى معسكر حربى ضخم أو معسكر أعتقال للقبائل النافرة . وعمدت السلطة إلى تحويل السكان إلى مجموعات من المحاربين وانعكست صورة الحياة

العادية ، فتحول النشاط الرعوى والزراعى والتجارى إلى ظاهرة عرضية فى مرحلة من المراحل أمام الهدف الاسمى المعلن من قبل الدولة (الجهاد فى سبيل الله) . ومهما كانت مرامى المهدي والخليفة عبدالله من هذه السياسات الا أنه ترتب عليها تفريغ الدولة من محتواها الأقتصادي وصارت هيئة الدولة قشرة خارجية تستند فى وجودها على قوة السلاح فى يد المجموعات الموالية لها دون أن تضرب جذورها عميقا فى حياة المجتمع مما خلق معارضة مستمرة حتى لحظاتها الأخيرة من مجموعات السكان ليس فقط من قبل المجموعات التى عارضت المهديّة منذ اعلانها بل من المجموعات التى ناصرته منذ البداية وأرتخت أرواحها فى سبيل نصرتها . وتبدو فداحة الوضع فى اصطدام الخليفة بأبناء عشيرته وقبيلته التعايشة عندما فرض عليهم سياسة الهجرة وعمد إلى حرق مزارعهم وقراهم قطعاً لخط الرجعة عليهم .

وهنا يكمن فى تقديرنا أحد التناقضات الرئيسية لدولة المهديّة فقد حاولت أن تبني على أنقاض النظام السابق دولة مركزية دون أن تسند مركزيتها بمحتوى أقتصادي أجماعى بل عمدت إلى تهشيم وتخطيط ما أستندت عليه مركزية النظام السابق . ولعل هذا التناقض من الأسباب الرئيسية لسهولة سقوطها وهزيمتها .

ويقابل ذلك نزوع متأصل لدى المجموعات السكانية المختلفة نحو الاستقلال الذاتى عن السلطة المركزية نجد جذوره فى طبيعة حياتها وتاريخها . وتداخلت عوامل سياسية وتاريخية فى تكوينه . فإذا نظرنا إلى طبيعة العلاقة بين المركز والأطراف قبل أن تجمع أطراف السودان قوة نار وحديد التركية السابقة ، نجد أن مملكة الفونج (السلطنة الزرقاء) التى كانت تسيطر على رقعة كبيرة من السودان «أبعد ما تكون عن الحكومة المركزية فليست هناك مؤسسات أدارية متماثلة تنتشر فى سائر أنحاء المملكة ربما عدا التنظيم القبلى ، وكان تدخل السلاطين فى

الشئون الداخلية للتنظيمات الإدارية الإقليمية أو المشيخات لا يتعدى جباية الضرائب وتعيين شيخ أو زعيم ، أو ما يعرف بالملك مكان الزعيم المتوفى ولكن من أسرته الحاكمة » ^(١) ونضيف إلى ذلك أنه حتى المشيخات والممالك الصغيرة لم تقنع بمثل هذه العلاقة اللامركزية متى وجدت الوقت ملائماً ، مثلما حدث فى ترمذ الشايقية على العبد لاب وسلطنة سنار فى غضون القرن السابع عشر والمجاهدات المستمرة لأسرة المسبغات للإفلات من نفوذ الفونج وسلطة دارفور معاً.

ونجد شواهد كثيرة على نزعة الاستقلال فى تاريخ دارفور التى ظلت لسنوات طويلة خارجة عن نطاق دولة التركية المركزية ودفعت دماء كثيرة فى سبيل استقلالها على مر الحقب ولعل من الشواهد البارزة احتفاظ مملكة تقلى باستقلالها الذاتى حتى فى إطار دولة التركية السابقة.

وقد شجع أنهيار السلطة المركزية أبان الثورة المهدية نزعات الاستقلال وأنعش الأمال القديمة فى رغبة الأنعتاق من الحكم المركزى خاصة وأن الحكام الجدد من الوطنيين لا يختلفون فى شىء عن الآخرين ليفرضوا سيادتهم عليهم .

اصطدمت هذه الحقائق بسياسة الهجرة ولم تجدى نداءات وأذارات الحكومة فى تغيير الوضع وكان فى متناولها قوة عسكرية ضخمة فى مواجهة مجموعات متفرقة وجدت نفسها تناهض هذه السياسة دون أن يكون لها مطمع فى أسقاط السلطة المركزية ودون أن تسعى للتوحد فيما بينها من أجل هذا الهدف فكان أن واجهت السلطة هذه النزعة بموجة من الحروب والاعدامات كانت فى نظرها السبيل الوحيد لفرض سيادتها . وطالت الاعدامات زعماء القبائل فقد كان يرى الخليفة عبدالله

(١) مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى (١٤٥٠ - ١٨٢١) د.

يوسف فضل حسن / جامعة الخرطوم ص : ٥٩ - ٦٠ .

فى الزعماء التقليدين العقبة الرئيسية أمام تنفيذ سياسة الهجرة ويرى فصلهم عن قواعدهم أما بقتلهم أو استدعائهم إلى امدرمان ليبقوا تحت رقابته المباشرة . فقد كان التلكؤ عن اجابة دعوة الخليفة بمثابة إعلان الحرب على الدولة ومن ثم تبدأ المطاردة من السلطة للزعيم المعنى إلى أن تظهر به وتعدمه . وفيما يلى نعرض لبعض الاعدامات والتصفيات التى نفذت نتيجة هذه السياسة ، كما نفرد عنوانا للتصفيات الجماعية التى ترتبت عليها .

أ / اعدام مادبو على زعيم الرزيقات (فبراير ١٨٨٧) :

ناصر مادبو الثورة المهدية فى أقليمه وأنزع زعامة الرزيقات وقادهم فى الحروب الثورية فى دارفور وكان له نصيبا فى أضعاف الحكومة بدارفور وأسقاطها فى قبضة المهدية وبعد أن أتصرت المهدية فى دارفور رجع إلى دار الرزيقات ولم يستجب إلى دعوة الهجرة سواء من المهدي أو الخليفة . ويرى د . أبو سليم بحق أن الدافع المباشر لثورة مادبو هو نزوعه للأستقلال عن عمال الخليفة وأعتراضه على الهجرة إلى العاصمة امدرمان^(٢) .

ويدعم نزوع الرزيقات المتأصل نحو الأستقلال ما ذكره الزبير باشا فى مكاتباته للسلطان إبراهيم قبل غزوه لدارفور حيث قال عنهم (هؤلاء العربان الحفاة الذين خرجوا عن طاعة سلطنتكم منذ ثلاثين عاما .)^(٣) مما يدل على أن الرزيقات لم يخضعوا أصلا لسلطان منذ فترة معتبرة ويعزز توارث هذه النزعة وتأصلها لدى قادتهم .

ويرى د . موسى المبارك (أن مادبو اراد سيادة تامة على دار الرزيقات وما جاورها من قبائل ... واتسعت دائرة عصيان مادبو فاصبح

(٢) الحركة الفكرية فى المهدية (د . محمد ابراهيم أبو سالم ص ٤٦) .

(٣) نعوم شقير ص / ٢٦٨ .

زعيماً للخارجين على الخليفة وماوى للنافرين من الهجرة . (٤) وبعد قتال مستميت تشتت قوات مادبو وصار طريداً لقوات الخليفة التي أحكمت حوله الحصار إلى أن تم القبض عليه قرب الفاشر على يد رجال الأمير يوسف ابراهيم وتم تسليمه إلى كرم الله كرقساوى الذى سلمه بدوره إلى محمد كرقساوى فى شكا وأرسله الأخير مخفوراً إلى امدرمان لكن فى الأبيض تم اعدامه على يد حمدان أبو عنجة تنفيثاً لضغينة قديمة بينهما وواجه مادبو مصيره بشجاعة وثبات وقطع حمدان رأسه وأرسله إلى أمدرمان للخليفة فعلقه فى الجامع من صلاة الصبح إلى الظهر (٥).

ومهما قيل عن رغبة الخليفة فى الأبقاء على حياة مادبو حسب بعض الروايات الا أن اعدامه ينسجم مع سياسته تجاه المعارضين لمبدأ الهجرة وقد أقر الخليفة حمدان على اعدامه حيث كتب له « ولتعلم أن من ضمن اجراءاتك السديدة قتل مادبو لما فى ذلك مصلحة للدين وعبرة للعصاة. (٦)

ب / اعدام الشيخ صالح فضل الله زعيم الكبابيش :

لم تناصر قبيلة الكبابيش منذ البداية الثورة المهدية وذلك لأرتباط مصالحهم أرتباطاً وثيقاً بالتركية ونظامها . حيث كان لهم نصيباً وافراً وكبيراً فى تجارة الصمغ وتصديره أضافة لدور ثروتهم من الابل فى عمليات النقل والتجارة ، فهم يلعبون دوراً مشابهاً لدور العباددة فى التجارة بل هم أكثر ثراءً وغنى منهم . وقد أعدم المهدي زعيمهم السابق التوم و دسالم بتهمة التخابر مع

(٤) موسى المبارك تاريخ دارفور السياسى ص ٩٣ / ٩٤ .

(٥) نعموم شقير ص ٧١٥ ، السيف والنار ص ١٥٢ ، المعارضة الداخلية لحركة

المهدية ص ٢٦٢ .

(٦) المرجع السابق الاخير .

غردون وهربت بقية القبيلة مع صالح فضل الله^(٧). ولم يستجب صالح لمكاتبات الخليفة المتكررة بالهجرة وظل يماطل فترة طويلة قبل أن يشهر عصيانه . ونتيجة لعدم أستجابته لنداءات الخليفة المتكررة أهدر الخليفة دمه وصار طريدا لقوات الخليفة وكان للقائد عبدالرحمن النجومى دوراً كبيراً فى أحكام الحصار على صالح وضرب خطوط أمداده . فقد رسم خطة محكمة لمحاصرته أعتمدت على خريطة موارد المياه اقره الخليفة عليها وكان نصيبها النجاح وقبل ذلك ضرب قافلة امداده بالسلاح وأستولى عليها .

وفى النهاية تم القبض عليه بعد حصاره فى عين حامد فى ١٧ / مايو / ١٨٨٧ وحاول معتقله شد وثاقه فرفض ذلك وسب المهديه أمامهم وجلس على فروته على عادة فرسان السودان عند هزيمتهم فتقدم جرجير تمساح منه واجتز رأسه ثاراً لابييه وعمه وأرسل الرأس للخليفة فى أم درمان حيث علقه فى الجامع .

ونلاحظ للمرة الثانية تواتى الثارات الشخصية رغبة السلطة فى التخلص من المعارضين^(٨) .

ج / تصفية الأمير يوسف بن السلطان إبراهيم فبراير ١٨٨٨ :

لم تقع دار فور تحت حكم التركية الا لعشر سنوات فقط ما بين نوفمبر ١٨٧٤ - ويناير ١٨٨٤ م وفى خلال هذه الفترة لم تستكن سلالة ملوك دارفور فى نضالها من أجل الأستقلال وأستعادة ملكهم ، وكلما ظفرت السلطات بقائد بايع الفور أميراً آخر من سلالة ملوكهم

(٧) المقاومة الداخلية لحركة المهديه ص ٢٣٨ .

(٨) اعدام الشيخ صالح أنظر نعم ص ٧١٦ محمد محبوب مالك المقاومة الداخلية لحركة المهديه ص ٢٤٢ / مكى شببكة السودان فى قرن ص ٢٦٤ / السودان عبر القرون ص ٢٣٦ / د. زاهر رياض السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الأستقلال ١٨٢١ - ١٩٥٣ ص ١٥٩ / السيف والنار ص ١٥٦ .

واندفع بهم فى معارك الإستقلال .

وفى المهدية تولى خالد زقل عمالة دارفور ولما أنصاع لأمر الخليفة بالتحرك إلى امدرمان أبقى الأمير يوسف بن السلطان إبراهيم عاملاً عليها ، فجلس على كرسى السلطنة مختطاً نظام أبائه فسمى الحكام بالملك والشرأتى وسموا الجهات حواكير على عادة تقاليد السلطنة . أى أنه بعث نظام السلطنة القديم وكل علائم الأستقلال عن سلطان الخليفة . كما آتخذ بعض الأجراءات السياسية العسكرية فى سبيل تأمين السلطة مثل طرده لكرم الله كرقساوى من داره .

وقد كاتب الخليفة عبدالله الأمير يوسف بلطف مركزاً على الروابط الدينية وطلب منه الحضور إلى أم درمان لتجديد البيعة وزيارة ضريح المهدي فامتنع الأمير يوسف .

وأشتعلت الحرب ضروراً بين الأنصار والفرور وخسر الأمير يوسف معاركه أمام السلطة المركزية وتشتت جيشه ووقع فى الأسر أعداد كبيرة منه ولحققت الأنقسامات قواده وقواته فلجأ الأمير إلى جبل مرة فى قلة من أتباعه بعد أن انسلك عنه الكثيرون وطارده الختيم موسى وعندما ضاقت به السبل برز للختيم فيما يشبه الأنتحار "فقرر الموت وبرز لقتال الختيم موسى فقتله وبعث برأسه إلى الفاشر فعجل عثمان آدم بإرساله إلى أم درمان ليحمل الرأس البشرى إلى الخليفة بنهاية خصم لدود ومكافح عنيد" (٩) .

د / اعدام الغزالي أحمد خوف :

ورث الغزالي زعامة التعايشة عن أبيه أحمد خوف وقد الت الزعامة لبيتهم بعد صراع مع فرع الجبارات الذى ينتمى له الخليفة عبدالله وقد كان الغزالي من الراضين لسياسة الهجرة بل قام بقتل رسل الخليفة الذين

(٩) موسى المبارك ص ١٢٢

جأؤوه بالأمان منه ، وحظى الغزالي بتأييد أغلبية بطون التعايشة فى رفضهم للهجرة رغم مناشدات ووعد ووعيد الخليفة . الأمر الذى أشعل غضب الخليفة عليه خاصة وأن التعايشة هم العصبة التى يريد أن يسند حكمه بها وهم أبناء قبيلته .

وفى نهاية الأمر وتحت الضغط العسكرى أضطر الغزالى للتسليم وهاجر التعايشة فى مشهد حزين بعد حرق قراهم وزروعهم ولم ينصف اكرام الخليفة لهم لوعتتهم على مغادرة ديارهم .

ولم يستقر الغزالى فى ام درمان الا لبعض الوقت حيث هرب منها ومعه ابن أخته وأحد عبيده فأنفذ الخليفة رجاله خلفه فأدركوه مسيرة يوم شمالى ام درمان - وفق ما نقله موسى المبارك - وفى موضع يقال له كجمر شمال كردفان حسب ابراهيم فوزى - وقتلوه وقطع رأسه وحملوه للخليفة وأسر رفيقه . وتتضارب الروايات حول أسباب هروب الغزالى فىرى د . موسى المبارك (أما شوقا لموطن ملكه ، أو بسبب المخاوف التى تساوره من تربص الخليفة به خاصة وأن بعض أقارب الغزالى أدخلوا فى روعه أن الخليفة يأتمر به ويريد قتله ^(١٠) . ومن جهة أخرى يروى إبراهيم فوزى أن الخليفة وعد الغزالى بالوزارة ولم يف بوعده مما دفعه للهرب ^(١١) . ومهما تضاربت الروايات الا أنه فى نهاية الأمر لقى الغزالى حتفه نتيجة هربه وأنطلاقه من إसार الهجرة الجبرية .

هـ / التصنيفات الجماعية فى تنفيذ سياسة الهجرة :

كان لعنف السلطة فى سبيل إنفاذ سياسة الهجرة الجبرية نتائج مأسوية تمثلت فى إبادة أعداد مهولة من السكان ولا تنجو حكومة

(١٠) المرجع السابق ص ١٢٦ .

(١١) فى مقتل الغزالى أنظر نعوم شقير ص ٨٠٥ موسى المبارك ص ١٢٦ /

إبراهيم فوزى ص ٢٠٥ .

الخليفة فى هذا الصدد من وصمة النزوع نحو الأبداء الجماعية - أسوء بحكومة التركية السابقة - ويقف شاهداً على هذه الحقيقة الرصد والتقص حول المجازر وأعداد القتلى الذين سقطوا فى المقاومة لسياسة الهجرة . فقد كانت الأجراءات العسكرية باهظة التكاليف وباهظة النتائج . ونعرض فيما يلى للمجموعات التى تعرض رجالها للتنكيل والقتل ويخرج عن نطاق البحث الحديث عن السبب والمصادرة للأموال والثروات .

مقتلة قبيلة رفاعة الهوى :

قتل فيها المرضى أبو روف وأعدادا كبيرة من أفراد أسرته وقبيلته ، كما سقط بعض الزعماء أمثال مردس شيخ العلطين وإبراهيم ود صابون شيخ العقليين والفقير إبراهيم ود خالد والشيخ محمد بن الشيخ مالك^(١٢) وكان ذلك عام ١٨٨٨ م .

مجزرة البطاحين :

خرج أبناء قبيلة البطاحين على جيش ود النجومى وعادوا لديارهم ومارسوا قطع الطريق تدفعهم لذلك آثار المجاعة فاستدعاهم الخليفة إلى ام درمان فأهانوا رسله وطردهم فأرسل إليهم تجريدة من ٢٥٠٠ رجلا فسقطت أعداد كبيرة منهم وقتل معظم اكابرهم وسبق الأسرى بنسائهم وأطفالهم إلى ام درمان وفيهم ٦٧ رجلا جعلهم الخليفة أربعة فرق . فرقة قتلت شنقا وفرقة ضربت أعناقها وأخرى قطعت أيديها اليمنى وأخرى قطعت أيديها وأرجلها من خلاف (١٨٨٩) (١٢) .

(١٢) نعم شقير ص ٨٠٣ / إبراهيم فوزى ص ١١٢ - ١١٣ / أبو سليم الحركة

الفكرية فى المهديّة ص ٢٠٥ .

(١٣) نعم شقير ص ٨٠٤ / هولت ص ١٥٨ / إبراهيم فوزى ص ٢٢١ - ٢٢٢ /

أبو سليم ص ٤٦

الشكرية :

سقطت أعداد كبيرة من قبيلة الشكرية تحت سنايك الأنصار في مطاردتهم وهم ينزحون هرباً من التهجير . وذكر إبراهيم فوزي أنه قد مات منهم مئتين رجل في سجون الخليفة من الجوع والعطش وتجمع المراجع على أن الشيخ عوض الكريم أبوسن قد مات في السجن وقد كان تعداد الشكرية نصف مليون نسمة وتدل هجرتهم إلى الحبشة وتشتتهم في البلاد على مدى ما وقع بهم من عسف (١٨٨٦) (١٤) .

محمد بشير على طه بن جن شيخ الحمة وأهله :

تتبعه الخليفة إلى أن ظفر به وقتله ونكل بأهله تنكيلا (١٥) .

مجزرة الهبانية :

قتل فضل الله شرف الدين وكيل العامل بشاري ريده ما يزيد على ألفي رجل منهم فروا من معسكرات الترحيل إلى أم درمان وما يدل على فجعية الهبانية في رجالهم ورفضهم لمسألة الهجرة ما نقله : د . موسى المبارك عن إحدى اهازيجهم الشعبية التي يرددونها في أفراحهم وهي أبيات من الشعر تقول بتفضيلهم الهجرة إلى دار فرتيت تحت سلطانها زيمو الوثني وأن كان مأواه النار خيراً من الهجرة مع الأمير عثمان جانو الذي يعدهم بنعيم الآخرة والجَنَات (١٦) .

ومما يجدر بنا ذكره أن الفور فقدوا في حروبهم مع قوات الخليفة والمهدية ما يزيد على العشرة آلاف رجل قتل منهم في معركة دارة الأولى ما يزيد على ثلاثة آلاف وفي معركة دارة الثانية خمسة آلاف وسقط الفان عند ود بيرة هذا غير الذين طاردتهم قوات الأنصار في وادي ازوم وشعاب جبل مرة (١٧) .

(١٤) نعوم شقير ص ٨٠٢ / المقاومة الداخلية لحركة المهديّة ص ٢٤٦ / إبراهيم

فوزي ١١٠ / أبو سليم ص ٤٦ .

(١٥) نعوم شقير ص ٨٠٢ / أبو سليم ص ٤٦ .

(١٦) موسى المبارك ص ١٣٧ .

(١٧) موسى المبارك ص ١١٩ وما بعدها .

الاعدامات والتصفيات فى الصراع حول السلطة

نتناول فى هذا الفصل الاعدامات والتصفيات التى كانت نتيجة صراع مباشر وواضح حول السلطة وذلك فى أى مستوى من مستوياتها فبعض الأشخاص والمجموعات التى نفذت عليها هذه الاعدامات والتصفيات أتت من الأفعال ما يستهدف كيان السلطة وخططت وسعت للاطاحة بها وبعضها قام بتهديد جزئى للسلطة فى مستوى من مستوياتها وترأى للسلطة ضرورة تصفيتها من أجل توطيد أركانها .

وقد تميز سلوك الدولة حيال هذا النوع من المعارضة بالقسوة البالغة والحزم فى التنفيذ ، وسلكت مسلكا شرسا خاصة وأن الأمر تعلق بكيانها ووجودها .

ونتناول هذه الاعدامات حسب أهميتها وخطورتها دون التقيد بالتسلسل الزمنى لها .

أولا : اعدامات وتصفيات حركة الاشراف : ديسمبر ١٨٩١ :

لا شك أن تحرك الاشراف وهم أقارب المهدي والمنضوين تحت راية الخليفة شريف خليفة الكرار كان يستهدف قلب نظام الخليفة عبدالله التعايشى والاطاحة به . فقد بايع الأشراف الخليفة عبدالله على مضض وكانوا يتطلعون للسلطة ، ومهما كانت مجريات الحوادث بينهم وبين

الخليفة ومهما كانت دواعى تحركاتهم المباشرة من تضيق الخليفة عليهم وتجريد قيادتهم من القوات والبيارق ومظاهر السلطة وعزل رموزهم من العملات ففى النهاية كان الأمر صراعاً حول السلطة .

وقد كان الاشراف يجتمعون سرا ويجرون الاتصالات للتحضير لمواجهة عسكرية واسعة إلى أن أفتضح أمرهم فعجلوا بالتحرك وقد حدثت المواجهة العسكرية بين حزب الأشراف والخليفة وتوتر الجو فى ام درمان وقد تبودل إطلاق النار لمدة ساعة إلى أن أنجلى الأمر نتيجة الوساطات المتكررة والتى لعب فيها الخليفة على ود حلو دوراً كبيراً .

وتم التوصل لصلح أشتراط الأشراف فيه شروطاً أرتضاها الخليفة عبدالله أهمها العفو الشامل عن المشاركين فى الحركة وضمنان سلامتهم ورد الاعتبار للخليفة شريف واعطائه مقاما يليق به إضافة لبعض الامتيازات المالية تصرف من بيت مال المسلمين لرفع الضيم عن الخليفة شريف وأبناء ونساء المهدي على أن يتعهد الأشراف مقابل ذلك بتسليم أسلحتهم وطاعة الخليفة .

ولم يمض عشرون يوماً أو يزيد قليلا على الصلح وأنتهاء المواجهة المسلحة حتى قبض الخليفة على أهم قيادات الحركة - عدا الخليفة شريف- وهم أحمد سليمان أمين بيت المال فى عهد المهدي وفوزى وأحمد محمود كاتب الخليفة عبدالله وأحمد النور كاتب الخليفة شريف فسجنهم فى ام درمان أياماً ثم أرسلهم إلى الزاكي طمل فى فاشودة فأعدموا ضرباً بالعصى جميعاً حتى الموت (١).

وأورد مكى شببكة أن القاضى أحمد بدين حكم على بعض زعماء الأشراف المذكورين فى مجلس قضاة بالاعدام وقطع أيدي وأرجل البقية

(١) حول حركة الأشراف واعداماتهم أنظر نعم شقير ص ٨٢٩ / مكى شببكة السودان فى قرن ص ٢٥٤ / السودان عبر القرون ص ٣٢٥ / جهاد فى سبيل الله ص ١٤٧ وما تلاها .

منهم وتم الاعتراض فى المجلس على هذا الحكم وكان على رأس المعارضين السيد أحمد المكى فاستبدل الحكم بالنفى إلى بحر الجبل وبدأ بالفعل فى تنفيذ الحكم ، وهم فى طريقهم إلى المعتقل عقد أحمد بدين مجلساً آخر استصدر فيه حكم الاعدام عليهم^(٢) .

ويؤيد رواية مكى شبىكة حول موقف القاضى أحمد ما نقله على المهدي من اعتراض القاضى أحمد على مقترحات الصلح أثناء المواجهة وغلظته فى محاولة قفل باب المراجعة^(٣) مما يعنى أن القاضى أحمد لم يرد لهم مصيراً غير الموت .

وأول ما يلاحظ على هذه التصفيات أن السلطة ممثلة فى شخص الخليفة قد حثت بعهد واتفاق تم التوصل إليه فى خضم الصراع ، وعمدت أولاً إلى تهدئة المعارضين وتجريدهم من سلاحهم وقوتهم ومن ثم انقضت عليهم . وحاولت أن تلبس الحكم شىء من العدالة باصداره من احدى مؤسسات الدولة التى تبدو على شىء من الاستقلال عن السلطة ممثلة فى الجهاز القضائى . ونلاحظ فشل السلطة فى استصدار أمر بالأجماع فى المجلس الأول الأمر الذى دفعها إلى نسخ الحكم الأول باستصدار حكم الاعدام الذى أخرجه القاضى أحمد بدين .

ويبدو أن الحنث بالعهد أثار لغطاً فى أوساط الناس وأستنكار همسا أو جهراً فقد وصل الأمر للخليفة مما دفعه لتبرير موقفه فلم يجد الخليفة مخرجاً الا باللجوء إلى الحضرات النبوية فأصدر منشوراً حول حبسهم يقول فيه « ... ثم فى ضحوة هذا اليوم الذى هو الأربعاء الموافق ١٤ الجارى أيضاً حصلت لى حضرة اجتمعت فيها مع النبى عليه الصلاة والسلام والمهدى (عم) فقال لى المهدي (عم) بلغ الخليفة عليا والأحباب

(٢) مكى شبىكة السودان عبر القرون ص ٣٢٥ .

(٣) جهاد فى سبيل الله ص ١٥٩ .

الواقفين مع أشارتك السلام وقل لهم المهدي يقول لكم جزاكم الله خيراً عن ذلك . ثم أخبرني (عم) بأن الأصحاب الذين وقفوا مع أشارتي في المسألة التي حصلت قد نظر الله إليهم بعين الرحمة . ثم قال لي (عم) أن أحمد سليمان وأحمد محمد خير وسعيد محمد فرح وفوزي وأحمد وصالح سوار الذهب فليكن حبسهم فقلت للمهدي عليه السلام أن أهل الظاهر ينكرون على ذلك ويقولون عفا عنهم ثم حبسهم فقال لي المهدي (عم) أن الحق معك وأهل الباطن معك فأحبسهم واتل على الأصحاب المنشور المحرر منا في حقه .. »

وحتى الحضرة النبوية وقول المهدي بحبسهم لم يتقيد به الخليفة فقد تجاوز أمر الحبس إلى الاعدام .

ثانياً : اعدام المنا إسماعيل ووالده وولده وأمين بيت ماله :

محمد المنا إسماعيل من أعيان الجوامعة ومن رجالات الطريقة السمائية المرموقين وكان ذا نفوذ عظيم وشهرة كبيرة . وتشير العديد من الشواهد أن المهدي التقى به قبل إعلان المهديّة في طور الدعوة السرية وأخذ معه العهود والمواثيق لنصرته .

وقد التف حول المنا اسماعيل العديد من أبناء قبيلة الجوامعة وقدر جيشه بعشرين الفا . وأسقط حامية التيارة ولعب دوراً كبيراً في حصار بارا وساهم مساهمة كبيرة في القضاء على حملة أنقاذ موجهة إلى الأبيض بقيادة على لطفى ومما يدل على قوة وكثافة جيشه أن أوكل إليه حصار الأبيض من جهة خور طقت .

وتجمع المراجع على أن المنا اسماعيل كان يطمح إلى موقع يتناسب مع قدره وتفانيه في الجهاد ^(٤) لكن بعد أن أستقرت الأوضاع من ناحية

(٤) حول خلاف المنا واعدامه أنظر : سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدي ص ١٩٨ / جهاد في سبيل الله ص ٤٦ / نعم شقير ص ٣٨٦ / المقاومة الداخلية لحركة المهديّة ص ١٧١ / تاريخ كردفان السياسي ص ٣٠ .

ترتيب المواقع القيادية بعد فتح الأبيض وأحتل الخليفة عبدالله موقع أمير جيوش المهديّة إضافة لموقعة كخليفة للصديق أبو بكر ثارت ثائرة المنا وتعبيراً عن احتجاجه سحب جيشه وغادر الأبيض حيث عسكر في قريته ياسين ، فقد كان خلافه متصلاً بموضوع الخلافة ومنصب الخليفة عبدالله على وجه الخصوص ، ويبدو مظهرًا من مظاهر خروج المنا على المهديّة أن أطلق يد رجاله في التعدى على الناس ولم يضبطهم فكتب إليه المهدي يخطره بتوارد الشكاوى حول مسلك رجاله مشيراً إلى شرودهم بالغنائم وعصيانهم أمر الخلفاء وأمراء الرايات ، وضمن كتابه موعظة يتلوها على الناس^(٥) ثم عزله المهدي من الأمانة . وقد أستعمل المهدي تعبير الرئاسة في خطاب المنا ينصحه بتقبل العزل والصبر عليه على أنه حكم الله . » ... وأشكر فضله عليك إذ حماك وصرف عنك الرياسة وطوق بها غيرك . »^(٦)

وعندما لم ينصع المنا وجه إليه المهدي أنذاراً بتسليم القيادة والأموال إلى حامل الأنداز وأن يتوجه إليه بأقاربه في مدة حددها بأربعة أيام . »^(٧) وكان رسول المهدي عجيب الحمراوى فلم يستجب المنا .

أرسل المهدي جيشاً ضم أكثر قواده العسكريين حنكة إذ ضم الجيش عبدالرحمن النجومى وأمرأؤه وعبدالله ود النور وحمدان أبو عنجه ومن معه من الجهادية وراية حاج خالد وراية ولد أبى صفية ، وطوق المنا فأنفض عنه رجاله حين رأوا عظمة الجيش . وكان المنا ببيته . فخاطبه قادة الجيش بالخروج إليهم فقال أنه معتكف ومشغول برفع الدعاء إلى الله وذكره ، فدخلوا الدار وأوثقوه كتافاً هو ووالده وولده وأمين بيت ماله وساروا بهم نحو الأبيض .

(٥) الآثار الكاملة للإمام المهدي المجلد الأول ص ٢٦٨ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٧٢ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٩٠ .

وعند التياره قابلهم أحمد الطليعة يحمل أمرا من المهدي بقتل
الفكي المنا ومن معه فقتلوا جميعا^(٨). ومن المحزن أن يلقي مصرعه في
البقعة التي شهدت أول أنتصاراته في مناصرة المهدي .

وفى ظننا أن المنا كان يأمل فى حلم المهدي به ، وتداركه لأمر
تهميشه ، صحيح أنه خالف أوامر المهدي بالخروج إلى قريته دون إذن
كما لم يقيم بتسليم الأموال مثلما أمره ولم ينصاع لأمر الرجوع إلى
الأبيض ، الا أن المنا لم يتخذ موقفا عسكرياً جادا يهدد المهدي وأكتفى
بالقبوع فى قريته ياسين .

ومما يبدو أن المنا كان يعتمد على سبقه فى الايمان بالمهدية فى
مرحلتها السرية وابلائه فى سبيل نصرتها إضافة لاخويته السابقة لمحمد
أحمد المهدي فى اعتناقهم لطريقة صوفية واحدة وهى الطريقة السمانية .
وقد أورد محمد محبوب مالك أن هناك رأيا يقول بأن الخليفة
عبدالله هو الذى أصدر الأوامر بقتلهم دون استشارة المهدي^(٩) وليس
من المستبعد هذا القول خاصة وأن الأمر يتعلق بمنصبه ومركزه ، ومن
قبل عهد إليه المهدي بأمر فخر الدين المعلوى مدعى الخلافة فسجنه
وأعدمه .

وقد نهى المهدي فيما بعد مادحه ود التويم من ترديد بيت شعر
يقول :

التبعك فاز واتهنى والخالف يذوق حال المنا

نهائ المهدي عن ذلك وبدل له الشطرة الأخيرة وقال له أنه قد عفا
الله عن المنا وطهره وصارت أخرته سليمة^(١٠) .

(٨) جهاد فى سبيل الله ص ٤٦ .

(٩) المقاومة الداخلية لحركة المهدي ص ١٧٢ .

(١٠) جهاد فى سبيل الله ص ٤٦ .

ثالثاً : الاعدادات المترتبة على محاولة قتل الخليفة عبد الله (يوليو ١٨٩٢) :

فى يوليو سنة ١٨٩٢ أثمر نحو ٧٠ رجلاً من التعايشة على قتل الخليفة عبدالله وذكر نعم شقير أن تدبيرهم هذا أخذاً بشأراً زعيم التعايشة الغزالى أحمد خوف الذى قتله رجال الخليفة عند هربه من امدرمان (١١) بينما ذكر ابراهيم فوزى أن قائد المحاولة عبدالمولى صابون - وقد كان قائداً للجهدية ام درمان وقد عزل - على حلف سرى مع الخليفة شريف (١٢) وقد وشى بالمتآمرين واحدا منهم وقبض عليهم وتم نفيهم إلى الرجاف حيث تم اعدامهم (١٣) .

وقد قبض أثر هذه المحاولة على اثنين من كبار الأشراف وهم عبدالقادر ساتى والسيد محمد عبدالكريم ووجهت لهما تهمة أغراء الناس بشق عصا الطاعة - حسب نعم شقير - بينما ذكر على المهدي فى جهاد فى سبيل الله أنهما حوكما فى تهمة الاشتراك فى فتنة الأشراف التى حدثت العام الماضى (١٤) .

ويبدو أن للامرين صلة فلا يستغرب أن يعتمد خصوم الخليفة للتحالف فى سبيل الاطاحة به ، وليس من المستبعد أن يبحث التعايشة المتآمرين على سند من الأشراف الذين لم تجف دماء رجالهم بعد .

ويتفق المرجعان على أنه قد تم تنفيذ حكم الاعداد فى الشريفين المذكورين على يد الزاكي طمل ضربا بالعصى - حسب جهاد فى سبيل الله - وضربا بالفؤوس حسب نعم شقير (١٥) .

(١١) نعم شقير ص ٨٣٤ .

(١٢) ابراهيم فوزى السودان ص ٢٨٣ .

(١٣) المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(١٤) نعم شقير ص ٨٣٤ / جهاد فى سبيل الله ص ١٧٦ .

(١٥) نعم شقير ص ٨٣٤ / جهاد فى سبيل الله ص ١٧٦ .

رابعاً : اعدام عجيل ود الجنقاوى :

عجيل ود الجنقاوى أحد زعماء الرزيقات وتولى نظارتهم لفترة من الزمن فى عهد التركية بدلا عن مادبو على ، وقد بايع المهدي ولكن رغما من مبايعته فلم يكن الخليفة عبدالله مطمئنا له وإلى ولائه للمهدية ، بينما ناصر مادبو المهدي وعينه عاملا على دارفور .

ونعتقد أن عجيل قد أعدم نتيجة صراع على مستوى من مستويات السلطة فلا شك أن الرجل يتقاسم النفوذ مع مادبو على قبيلة الرزيقات القوية . وقد ارادت حكومة المهديّة المجال خاليا لزعيم موالى لها وازاحة أى منافس محتمل له .

ولا تخلو من الحقيقة إشارة نعوم شقير للمنافسة بين الخليفة وعجيل تلك التى نفاهها أبو سليم فى تعليقاته على كتاب نعوم تاريخ السودان^(١٦). فقد أثار الموقع والمركز الذى احتله الخليفة عبدالله حفيظة العديد من الزعماء التقليديين فقد كان كثير من الزعماء ينظرون نظرة استخفاف للخليفة عبد الله الذى لم ينحدر من بيت زعامة معروف فكانوا يستخفون بأوامره ويعيقون تنفيذها . وربما حجب الصراع المباشر بين عجيل ومادبو حول زعامة الرزيقات هذا الجانب من الصراع^(١٧).

(١٦) نعوم شقير ص ٩٧٠ .

(١٧) فى اعدام عجيل انظر نعوم ص ٢٨٧ / المقاومة الداخلية لحركة المهديّة ص ١٧٢ .

اعدامات كبار موظفي الدولة

ظهرت الاعدامات بين كبار رجال الدولة المهدية بعد أن أمن الخليفة عبدالله السلطة بين يديه فقد أكتملت اجراءات تهجير القبائل وعلى وجه الأخص عشيرته أبناء التعايشة سنة ١٨٨٩ وتم القضاء على التمردات والعصيانات المختلفة وقضى على منافسة الأشراف وأستتب له الأمر عام ١٨٩١م.

وقد ترتبت هذه الاعدامات نتيجة الصراع داخل الشريعة الحاكمة فقد كان صراع الخطوة والنفوذ بين أفرادها قد تفجر بعد القضاء على الأخطار الرئيسية . ويبدو أن الصراع حول الثروة والتكالب عليها قد لعب دوراً كبيراً حيث نلاحظ أن من يطاح به من رجال الدولة يتم اقتسام أمواله ونسائه ووزاريه .

وقد لعبت بطانة الخليفة عبدالله من أقاربه دوراً كبيراً في تدبير هذه التصفيات فيقف الأمير يعقوب أخ الخليفة وراء ثلاثة اعدامات شهيرة وهى اعدام الزاكي طمل القائد المرموق والقاضى أحمد على قاضى الإسلام وإبراهيم عدلان أمين بيت المال كما قُضى على القاضى الحسين الزهراء لعدم أستجابته لأهوائهم فى أحكامه القضائية .

لعبت الدسائس والوشايات دوراً فى تصفية الصراعات . ولا تشز حكومة المهدية هنا عن بلاطات العصر الوسيط وما يدور فيها فهذه الاعدامات كانت بمثابة اداة من أدوات تركيز السلطة وتضييق دائرتها ، وقد نفذت على رجال كانوا فى يوم من الأيام هم أنفسهم يد الخليفة

الباطشة فى مواجهة خصومه ، فمثلا كان القاضى أحمد على هو مهندس اعدامات الاشراف والزاكى طمل هو منفذها فى فاشودة ودارت الدائرة على الزاكى طمل فكان القاضى أحمد على من مدبرى قتله وفى بعض الروايات جلاده . ثم دارت الدائرة على القاضى أحمد ولقى مصرعه بنفس الطريقة التى نفذت على الزاكى .

أولا : اعدام الزاكى طمل صبراً : (١٨٩٣)

كان الزاكى قائداً مرموقاً ومن المقربين للخليفة عبدالله فقد كان صاحب الانتصار العظيم الوحيد من انتصارات المهدي فى حروبها الخارجية على الحبشة . ويبدو أن المكانة التى احتلها قد أثارت نغمة حاشية الخليفة وأبناء قرابته وإجتمع على مجده ما أشيع عن ثرائه العريض وما جمعه من أموال هائلة من حروب الحبشة .

ويذكر أبو سليم أنه « أطاح يعقوب أولاً بالزاكى الذى قد انتصر على الحبشة فى واقعة القلابات المشهورة واتهم بجمع أموال هائلة والتدبير للأستقلال بمنطقته وقد قاد الحملة عليه القاضى أحمد والأمير أحمد على وآخرون من المقربين حتى قبض عليه وجرد من أمواله ونسائه وسجن حتى مات جوعاً » (١).

والأمير أحمد على المذكور هنا هو أحد أقرباء الخليفة وقد نافس الزاكى فى خلافة حمدان أبو عنجة فى قيادة الجيش ولكن لم تسعفه قدراته العسكرية فولى الخليفة الزاكى .

كانت التهمة الأساسية الموجهة للزاكى هى تدبير الأستقلال عن الدولة المركزية ووصل الحد بمنافسيه إلى اتهامه بمخابرة الطليان سرا لتسليمهم القضايف وما حولها والانحياز لهم (٢).

(١) أبو سليم الحركة الفكرية فى المهدي ص ١٨٥ .

(٢) على المهدي جهاد فى سبيل الله ص ١٢٤ .

وحاول على المهدي في جهاد في سبيل الله أن يبرىء الخليفة عبد الله من قتل الزاكي وأن يحمل القاضي أحمد وزر اعدامه و ذلك لأن القاضي أحمد « كان حائقا عليه من مدة فأمر بسجنه سجنًا مشددا ووضع في مكان مظلم ومنع الأكل عنه في حين أن الخليفة لم يكن عارفا بالأمر الا بعد موت الزاكي » (٣).

ولا يستقيم ما ساقه على المهدي مع ما عرف عن الخليفة بالممامه بأدق تفاصيل دولته في الأقاليم دع عنك سجن السائر الذي يقع على بعد خطوات منه كما لا يستقيم أن يجرؤ القاضي أحمد بدين على إصدار حكم على الزاكي لم يوافق عليه الخليفة خاصة مع مكانة الزاكي السامية لدى الخليفة قبل محاكمته .

ويناقض المصدر المذكور نفسه حين يذكر « لما علم الخليفة بموته استغرب كثيرا وسأل عن سبب موته ف قيل له حبس البول فإرتاب في ذلك لأنه كان ينتظر أن يرفع إليه أمر مرضه عندما شعر به ، لأنه كان كثير السؤال عنه لأعتقاده بأنه برىء » (٤).

يقرر المصدر أن الخليفة كان كثير السؤال عن الزاكي ، فهل يستقيم مع كثرة السؤال أن يجرؤ أحدا جابة الخليفة بغير الحقيقة ، وأن كان الخليفة يسأل عن الزاكي في سجنه فهو بلا شك لا يسأل القاضي أحمد أنما يسأل إدارة السجن الممثلة في أبناء السائر والخليفة كان على اتصال دائم بالسجن وترفع له التقارير عنه خاصة بعد أن أودع فيه بعض الأسرى بعد تكرار حوادث الهرب من امدرمان .

ونقل نعوم شقير مقتطفاً من خطاب الخليفة لمحمود ود أحمد أمير الفاشر حول الزاكي يوضح فيه « أن التškiيات من الأنصار كثرت حوله

(٣) المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٤) المرجع السابق .

وتضرروا كثيراً من عنفه وتغير أحواله» .

وعندما أستدعاه أتضح « أن به عارضا وقيل أنه كان معه من سابق الا أنه أشتد عليه في هذا الوقت وبأسباب ذلك أجرينا زجره وحبسه بالمشورة فإن طاب وشفى من ذلك العارض فبها والا فتصير معالجته منه إلي أن يقدر الله الشفاء أو يقضى أمرا كان مفعولاً» (٥). والعارض في اللغة الشعبية المتداولة هو أن يكون الشخص ممسوسا بالجان أى أن الزاكي كان مسكونا بجن حسب تقدير الخليفة .

وقد كتب مرة أخرى إلى محمود حول موت الزاكي يقول : « أنه هلك في السجن على صفة فظيعة وحالة شنيعة وأنه بمجرد خروج روحه أشتعلت النار في جسمه وأسود وجهه والعياذ بالله» (٦).

ثانياً : اعدام القاضي أحمد علي صبراً ١٨٩٤ :

تولى القاضي أحمد علي المعروف بأحمد بدين منصب قاضي الإسلام بعد أستشهاد قاضي الإسلام الأول في عهد الإمام المهدي أحمد جبارة . ولم يلمع نجم القاضي أحمد الا بعد وفاة المهدي فلم يكن من المقربين إليه لكن في عهد الخليفة بعد أن أستغنى عن نظام الأمناء أحتل القاضي أحمد مكانا مرموقا وبارزا في النظام إضافة لأمارته على رايته وقد كان معروفاً بالدهاء وأستعان به الخليفة في تصفية خصومه وكان متهما في ذمته المالية وجمع أموالا كثيرة من الرشوة وله مداخلات بالضربخانة (سك العملة) متحيزا لفريق دون الآخر . وكان يكاتب جباة الضرائب في الأقاليم باعفاء الموالين له ونتج عن ذلك أن أنضم لرايته اعدادا كبيرة من الناس (٧).

(٥) نعوم شقير ص ٨١٩ .

(٦) المرجع السابق ص ٨١٩ .

(٧) المرجع السابق ص ٨٤٠ .

وسماه البعض بقاضى الدنيا وهو اسوأ ما يسمى به قاضى الشريعة
وكان موقفه قويا عندما كان الخليفة وبطانته يصارعون الأشراف وزعماء
القبائل ، فلما جرد هؤلاء ، وأنتهى أمرهم بدأ الصراع داخل البطانة من
أجل الخطوة والنفوذ . وكانت الخطوة الاولى عندما رفعه الخليفة عن اماره
رايته (٨) .

وترصده الأمير يعقوب وسلط عليه بعض القضاة إلى أن اثبتوا عليه
تعاطيه الرشوة فقبض عليه وجرد من أمواله ونسائه وسجن فى نفس
الغرفة التى سجن فيها الزاكى طمل ومنع عنه الطعام حتى مات (٩) . *

ثالثا : اعدام الحسين الزهراء صبراً ١٨٩٥ :

خلف القاضى الحسين الزهراء القاضى أحمد بدين فى القضاء متولى
منصب قاضى الإسلام عُرف بالعدالة والطهر ونظافة اليد وكان عالما
مرموقا وشاعرا مشهوراً وكان من الذين نافحوا عن المهديه بالفكر فألف
رساله ردا على علماء الخرطوم اسمها « الآيات البينات فى ظهور مهدى
الزمان والغايات . » وكان فى أدائه كقاضى ذو رأى مستقل لا يحكم
بمنشورات المهدي إذا تعارضت مع أحكام الشريعة ومتشددا فى أنفاذ
الشريعة واصدر أحكاما لم ترض بطانة الخليفة كانت سببا فى سجنه
ومنعه الطعام حتى مات (١٠) .

وبعض هذه القضايا والأحكام : القضية المعروفة بتصفية أموال أهالى
دنقلا التى أخذها الأمير يونس الدكيم وأمره القاضى الحسين بردها
لأهلها فامتنع يونس . كذلك قضيتين متشابهتين تتعلقان بأموال شخصين
ماتا ببلاد العدو فاستولى عمال المهديه على الأموال باعتبارهما غنيمة

(٨) أبو سليم الحركة الفكرية ص ١٨٥ / ١٨٦ .

(٩) مكى شببكة السودان عبر القرون ص ٣٢٨ / السودان فى قرن ص ٢٥٦ .

(١٠) فى اعدام القاضى أحمد انظر إبراهيم فوزى الجزء الثانى ص ٣٣١ .

فحكم الحسين بأعطاء الأموال للورثة . وأيضاً رفضه لشهادة الجهادية في
حادثة اعتدائهم على أهالي وادي شعير وقتلهم لبعضهم . إذ زعم
الجهادية أن أهالي الوادي قتلوا بعضهم كذلك . وكان في كل القضايا
المذكورة يخالف بقية أعضاء مجلس القضاء ويتمسك برأيه ^(١١) فدفع
ثمن أرضائه لضميره موتاً في سجن الخليفة .

رابعاً : اعدام إبراهيم ود عدلان أمين بيت المال (شنقا) :

تولى إبراهيم ود عدلان أمانة بيت المال بعد عزل أحمد سليمان
أمين بيت المال في عهد المهدي . وقد أدخل إبراهيم اصلاحات كبيرة
على بيت المال ونقله من مكانه الأصلي إلى شاطئ النيل لتسهيل
عمليات النقل ، وأحسن أدارته ، وضرب الريالات مازجا الفضة بالنحاس
. وقد ظل في منصبه إلى أن قدم البقارة المهاجرين إلى ام درمان ونفذ
الموجود من ذرة وأقوات من بيت المال . وقد قدر على المهدي ما
استهلكوه في فترة وجيزة بنحو نصف مليون أردب ^(١٢) . فطلب منه
الخليفة أن يذهب إلى الجزيرة ويجلب الذرة من أهاليها فذهب وجاء
بجزء من المطلوب فأمره الخليفة بالرجوع مرة أخرى فأعترض بحجة أن
الذي بقي لدى الأهالي لا يكفي بحاجتهم فذهب وعاد دون أن يحضر أى
شئ ^(١٣) .

وقد كلف الخليفة شخص آخر هو أحمد السني فعاد بالمطلوب من
الذرة وكان هذا بمثابة أدانة لإبراهيم .

قدم إبراهيم للمحاكمة برئاسة الخليفة على ود حلو فحكم باعدامه
شنقا ونفذ فيه الحكم سنة ١٣٠٧ هجرية .

(١١) جهاد في سبيل الله ص ١٢٦ / ١٢٧ .

(١٢) المرجع السابق ص ١٤٥ .

(١٣) في اعدام إبراهيم ود عدلان انظر نعوم شقير ص ٨٠٨ الحركة الفكرية ص ٤٨
إبراهيم فوزي ص ٢٠٨ .

وتذكر العديد من المصادر أنه كان على خلاف مع الكثيرين وكان محسوداً من بعضهم لثرائه وعلى رأس خصومه كان يقف الأمير يعقوب ولم تظفر السلطة بأمواله التي أخفاها بخروجه من السجن ورشوته للسجان ثم عاد ليواجه مصيره (١٤).

خامساً : مقتل أسماعيل الكردفاني ١٨٩٧ :

أسماعيل الكردفاني كان من القضاة المهمين في عهد الخليفة عبدالله وقد ورد توقيعه على العديد من وثائق الأحكام الهامة مثل وثيقة أدانة الخليفة شريف ووثيقة أيلول المراكب والمشارع إلى بيت المال (١٥).

وهو مؤلف كتابي (سعادة المستهدى بسيرة الإمام المهدي) و «الطراز المنقوش في قتل يوحنا ملك الحبوش» وقد وضعهما أسماعيل بتكليف من الخليفة عبدالله وقد أتخذ جانب الخليفة في صراعه مع الأشراف لكن دارت عليه الدوائر عام ١٨٩٣م وأرسل منفيّاً إلى الرجاف وقد بقي مسجوناً في أشد الضيق والعناء حتى مات سنة ١٨٩٧م وذكر أن مرفعيناً أختطفه وهو ملقى لا يستطيع حراكاً.

وقال أبو سليم عن مصيره «تلك ولا شك مصرع بشع لمفكر عظيم ونهاية محزنة لعالم مال إلى المهدي طوع وأرادته وقدم للمهدية قاضياً وعالماً لسنوات طويلة وكتب سيرة المهدي وصنف أمجاد الخليفة» (١٦).

مات أسماعيل الكردفاني بطريقة لا تختلف عن سابقه الذين منعوا عن الطعام سواء عمداً وبتدبير أو قلة الأقوات بالرجاف ففي النهاية لم يمت الأنصار المرابطين هناك جوعاً كما كتبت النجاة للسيد خالد زقل الذي كان رفيقه في المنفى وتبقى السلطة مسئولة عن موته.

(١٤) إبراهيم فوزي ص ٣٠٢ .

(١٥) أبو سليم الحركة الفكرية ص ٢١٢ .

(١٦) المرجع السابق .

وأَسباب قتله لا تخرج عن الوشائيات من المنافسين حيث شهدوا عليه بالتفوه بعبارات تقلل من قدر الخليفة وتتحدث بجهله وظلمه وأدوا القسم بشهادتهم وكان على رأس هؤلاء القاضى أحمد إذن كانت تهمته الخط من قدر السلطة ممثلة فى شخص الخليفة عبدالله وقد قيل أن السبب فى نكبته أنه ملاً السيرة التى كتبها بكثير من المغامز والتوريات التى تدور فى نفس فلك التهمة إضافة لعدم إبرازه لدور قادة البقارة بصورة مرضية كما أنه كان متسامحاً إزاء المخالفين لأمر المهدي فلم يطلق عليهم صفة الكفر وقد أمر الخليفة بحرق كتابه سعادة المستهدى فلم تنج منه سوى نسخة واحدة أخفاها أحد الكتاب (١٧).

سادسا : اعدام حامد ود جار النبى شنقا :

ود جار النبى فارساً مشهوراً فى راية الخليفة ود حلو وقد كان له دوراً فى نكبة البطاحين إذ هو العامل الذى أرسله الخليفة لاستدعائهم ونتيجة للوشائيات والمكايد أقصاه الخليفة ود حلو بعد أن كان مقرباً له جداً فأستاء ود جار النبى وهجر راية الخليفة ود حلو إلى راية الأمير يعقوب وأطلق لسانه فى ذم الخليفة ود حلو والأستخفاف به . فحوكم فى مجلس قضاة بالاعدام شنقا ونفذ فيه الحكم . ونلاحظ أن تهمته تطابق التهمة التى حوكم بها أسماعيل الكردفانى إذ اتهم كلاهما بتحقيق السلطة والتقول عليها .

وفى طريقة للمشنقة طلب حامد أن تفك قيوده وأصر على ذلك فرفع الأمر للخليفة فأمر بأن يقطعوا كعبيه ويخرجوا القيد منهما بلا فتح ففعلوا وواجه مصيره بشجاعة مشهودة (١٨).

(١٧) نعوم شقير ص ٨٣٩ .

(١٨) فى اعدام ود جار النبى انظر نعوم شقير ص ٨٣٧ وسلطين ص ١٩٧ .

اعدامات تهرجات الجمادية فى حقبة المهدية

كان من التكوينات الأساسية فى الجيش فى عهد التركية قوات الجهادية السود ، وتتفق المراجع على أنه من الأسباب الأولى لغزو محمد على باشا للسودان أمداد جيشه بالرجال من السود الذين أشتهروا منذ أيام الفراعنة بصلاحياتهم للجندية وشدة بأسهم فى الحروب (١).

وكان المصدر لامداد الجيش من هؤلاء الرجال الشجعان حملات الأسترقاق وعلى مدى الحكم التركى تكون عصب الحاميات منهم وتلقوا تربية عسكرية وتعليم حربى ورقى بعضهم مدارج الجندية حتى وصل إلى رتبة اللواء واحتلوا كثيرا من رتب الضباط الصغرى والوسيلة.

وهؤلاء الجنود ينتمون لقبائل سودانية من الدينكا والفور والنوبة وغيرهم ، ويبدو أنهم قد حققوا فى وحدة الحياة بينهم فى مصر والسودان قدراً كبيراً من التمازج والأنصهار. وقد حرصت السلطات على تزويجهم من النساء اللاتى تم استرقاقهن. ومع مر العقود فى حكم التركية السابقة تكون منهم مزيج سودانى يتجاوز حدود القبيلة ولعل فى ذلك يمكن سر وحدتهم وتضامنهم.

وعلى الرغم من اعتراف الجميع ببسالة هؤلاء الرجال وشجاعتهم الا أنهم كانوا دائماً عرضة للاضطهاد العرقى ويبدو لنا أن تداخل هذا الجانب قد أدى لتفاقم ثورتهم فى كسلا سنة ١٨٦٥ ، فعندما عصوا أوامر التحرك التى صدرت لهم وطالبوا بصرف مرتباتهم المتأخرة لستة

(١) نعوم شقير ص ١٩٤ .

شهر قال خطاب أفندى قمدنان الأورطة « أصبح للعبيد شأن يعصون به الأوامر فوالله لأسوقنهم بالسياط ». وبلغهم هذا القول الصفيق ولما جاءهم خطاب ونادى بهم (سلاح آل) هجموا عليه وأوسعوه شتما وضربا بالعصى وكان نساؤهم من ورائهم يشجعن ويزغردن فلجأ خطاب للفرار (٢).

ولم يتج أنصار المهديّة من هذه النظرة المتعالية لهم كرقيق . فنجد مؤرخ المهديّة في عصرها الشيخ إسماعيل عبدالقادر الكردفاني في كتابه سعادة المستهدى بسيرة الإمام المهدي يصفهم بالعبيد فيذكر حول نهاية تمرد جهادية الأبيّض (وقد أرسل حمدان أبو عنجة رؤوس بعض العبيد المذكورين لبقعة المهدي) (٣).

ولابد من الإشارة للقوة الضاربة التي زودوا بها جيش المهديّة بعد أسرهم ومن ثم انضمامهم لجيوش المهديّة فقد كانوا القوة التي بيدها السلاح الناري وقاموا بدور كبير في التدريب على استعماله وعلى وجه الأخص المدفعية فإن كانت البنادق تتوفر لدى السودانيين في ذاك العهد فإن المدافع كانت بالطبع حكرا للدولة ، ولا مجال لذكر فائدتهم لجيوش المهديّة في هذا الحيز .

ونستعرض فيما يلي أشهر تمرداتهم في عهد المهديّة وما نالوه من اعدامات في عهدها :

١ / أبادّة جهادية الأبيّض وذبح زعمائهم (أغسطس ١٨٨٦) :

هم قسم من الجهادية تركهم المهدي عندما غادر الأبيّض في اتجاه الخرطوم وأنضم إليهم عدد من جهادية داره فارتفع عددهم إلى ثلاثمائة جهادى . وقد تراكت مجموعة من المظالم عليهم ، ولدت فيهم العداء للمهديّة فبعد أن اسرّتهم قوات المهديّة تمّ استخدامهم في بناء المنازل

(٢) نعوم شقير ص ٢٣٨ .

(٣) سعادة المستهدى ص ٣٦٦ .

على نحو ما يفعل الأتراك وأحسوا كأن هذا نوع جديد من الأسترقاق ،
أضف إلى ذلك أن أوضاعهم المادية كانت على نحو أحسن زمن التركية
بفضل المرتبات التي كانوا يتقاضونها كجنود ولأنها ثابتة وكانوا فى
وضع معيشى أفضل (٤) وأخيراً تفجر تمردهم الذى أرجعه عوض
عبدالهادى العطا إلى الشعور السائد بين هؤلاء بأن العرب ينظرون
إليهم نظرة أستحقار .

أستولى الجهادية على ترسانة الأبيض وأعلنوا العصيان وخرجوا من
الأبيض بنسائهم حتى وصلوا جبل النما ورفعوا راية الخديوية وعينوا على
يوسف رئيسا عليهم .

وهزم الجهادية قوة من الأنصار بقيادة الأمير محمود عبدالقادر
الذى عاد من ام درمان بعد أن لى نداء الخليفة بالشخص إلى بعد وفاة
المهدى وطلب الأذن منه بالعودة وقتل فى هذه الواقعة الأمير محمود .
وتوغل الجهادية جنوباً ونزلوا فى جبل السّما . فأمر الخليفة حمدان أبو
عنجة بمطاردتهم (طاردهم حمدان وأوقع بهم موقعة أنفرط عقدتهم بعدها
وتبع شرادهم يبيدها الواحدة تلو الأخرى حتى قضى عليهم وفصل
رؤوس زعمائهم وأرسلها إلى ام درمان لتعلق فى السوق أياماً) (٥) .

ويذكر إبراهيم فوزى أن حمدان أبو عنجة قد قتلهم عن بكرة أبيهم
(٦) . الأمر الذى يتفق مع تعبير د . مكى شببكة اعلاه فى أشارته لآبادتهم
و قد قدر عددهم نعوم شقير بـ ١٠٠٠ رجل وذكر أن الأسرى منهم ٤٠
رجلاً مما يعنى أن البقية قد تمت آبادتهم (٧) . وتتفق المصادر فى أن
رؤوس زعمائهم قد فصلت عن أجسادهم وعلقت فى سوق ام درمان .

(٤) عوض عبدالهادى / تاريخ كردفان السياسى ص ٤٩ وص ٥٠ .

(٥) مكى شببكة السودان عبر القرون ص ٣٣٥ .

(٦) إبراهيم فوزى الجزء الثانى ص ١٠٢ .

(٧) نعوم شقير ص ٧١٠ ، ٧١٣ .

والقادة هم على يوسف وبشير على وسرور النور .

٢ / اعدام جزء من جهادية الأمير عبدالرحمن النجومي :

عندما وصلت جيوش ود النجومي إلى دنقلا كان من ضمنها أعداد كبيرة من الجهادية وتآمروا على التمرد وشق عصا الطاعة ، وكان قوادهم ادم كرامة وسرور واتفقوا على مهاجمة الأنصار فوشى بهم أحد المتآمرين وهو الملازم ثانى عبدالله محمد فقبض عليهم وضربت أعناقهما مع عشرين آخرين ^(٨).

٣ / اعدام قادة تمرد الجهادية فى النهود يوليو ١٨٩١ :

فى ولاية محمود ود أحمد على دارفور حصلت مجاعة فى الفاشر فانتقل محمود بجيشه إلى النهود . وهناك انفجر تمرد آخر للجهادية سببه سوء معاملة التعايشة لهم وتعاليمهم عليهم وأطلاقهم للألفاظ النابية عليهم . وقام الجهادية بأعمال تخريبية فى سوق النهود وكان مخططهم القضاء على التعايشة فى ميدان الاستعراض رابع أيام عيد الأضحى . لكن محمود ود أحمد تمكن فيما يبدو من أستمالة بعضهم ثم قبض على تسعة من قادتهم وقدمهم للمحاكمة التى قضت باعدامهم ونفذ حكم الاعدام فى ثمانية منهم بينما أعفى واحدا استغاث ساعة تنفيذ الحكم مؤكدا ولاءه لمحمود ^(٩).

ومن الواضح أن هذا التمرد كان واسعا فقد منع محمود ود أحمد من تنفيذ مخططه بالذهاب إلى جبال النوبة لفك ضائقة الجيش من الغلال رغم استئذانه الخليفة وعزى محمود سبب تمرد الجهادية إلى طول بقائهم فى كردفان ودارفور بعيدين عن مركز الهداية فى ام درمان ^(١٠).

(٨) إبراهيم فوزى الجزء الثانى ص ١٧٦ .

(٩) تاريخ كردفان السياسى ص ١٤٨ نعوم شقير ص ٨٢٣ .

(١٠) د. موسى المبارك تاريخ دارفور السياسى ص ١٨٥ .

اعدادات الاسرى

أمدت يد الحكومة المهدية فى مناسبات مختلفة إلى قتل الأسرى خاصة فى أتون الثورة وتحركات الجيش وفى مواجهة التمردات ذات الخطر وغالبا ما تكون تهمتهم التخابر والمراسلة مع جهات معادية أو فى حالة عدم الادلاء بمعلومات معينة فقد مات عدد من ضباط الإدارة التركية تحت التعذيب عندما رفضوا الادلاء بأماكن أموالهم المخبأة بعد سقوط حامياتهم.

١ / اعدام سعيد باشا مدير كردفان وبعض موظفى الإدارة التركية (فبراير ١٨٨٣) :

بعد حصار الأبيض ووقائعها أستسلم سعيد باشا ووقع فى الأسر هو ومجموعة موظفى سلك الإدارة والجيش بالمديرية وبعد فترة من التسليم تم توزيع هؤلاء على عدد من الشيوخ لتنفيذ حكم الاعدام عليهم فسلم سعيد باشا والصاغ محمد جمعة إلى الشيخ أسماعيل ود الأمين شيخ الغديات وسلم على بك شريف ونظيم أفندى إلى الشيخ نوآى شيخ الحوازمة وأحمد بك دفع الله ومحمد ياسين ناظر قسم خورس سلما إلى مادبو . وسلم عثمان سليمان ومسلى حسين إلى شيخ الحمر مكى ود ابراهيم وقتل المذكورون جميعا .

وهناك خلاف حول سبب اعدامهم لكن أقوى الروايات هى التى تقول بمراستهم للحكمдар عبدالقادر باشا حول الأسباب التى حملتهم على التسليم ووقع هذا الخطاب فى يد المهدي نتيجة لوشاية أحد الموقعين على الخطاب وهو الملازم يوسف منصور وكيل بوليس الأبيض الذى خاف

من افتضاح الأمر ^(١) وعواقبه وقد أقنع القائم مقام محمد بك أسكندر بأن يفعل مثله فنجا الأثنان من الاعدام .

٢ / اعدام مدير كسلا وبعض الموظفين والتجار (١٨٨٥) :

بعد تسليم حامية كسلا أودع عثمان دقنة مديرها أحمد بك عفت السجن ومعه إبراهيم أفندي شوقي الشركسى باش معاون المديرية والسر سواري حسن أغا سليمان الأرناؤطى وثلاثة من التجار وهم الخواجة استيلو الرومى والخواجة بدروس الأرمنى وعلى جاويش الحجازى وبعد يومين عفا عن إبراهيم شوقي وعلى جاويش وقطع رؤوس الباقين .

ويتفق كثيرون أن أسباب قتلهم عشور عثمان دقنة على أوراق فى حوزة قتلى الأحباش فى كوفيت بينها خطاب من المذكورين يستحث الرأس الولا لنجدتهم ويلعنون المهدي وأصحابه ^(٢) .

٣ / ضحايا التعذيب فى البحث عن الأموال من الأسرى ١٨٨٤ :

أخفى بعض الضباط والموظفين أموالهم بعد سقوط الفاشر والأبيض ورفضوا الادلاء بمكانها فكان مصيرهم التعذيب جلدا بالسياط فمات الصاغ حمادة أفندي نتيجة الضرب المبرح ^(٣) وانتحر على سعيد أغا وإبراهيم أغا برل ومات فى الأبيض تحت الضرب أحمد شلبى وكيل أشغال المديرية ^(٤) . وكتب لمحمد المليجى متعهد (سلخانة الميرى) النجاة عندما أعترف بأمواله .

٤ / اعدام الشيخ حولى زعيم حلة مندر ١٨٨٤ :

فى سرية عبدالرحمن النجومى وحمدان أبو عنجة على جبل الداير

(١) فى اعدام أسرى الأبيض انظر سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدي ص ٢١٩ / نعوم شقير ص ٣٨٣ / إبراهيم فوزى ص ١٢٧ .

(٢) نعوم شقير ص ٦٥٢ إبراهيم فوزى ص ٩٢ ، سلاطين ص ١٤٦ .

(٣) نعوم شقير ص ٤٠٩ ، سلاطين ص ٩٤ .

(٤) نعوم شقير ص ٣٨٢ .

تجمع أهل حلتى مندر والعين أستعداداً للحرب ونزل رئيس حلة مندر إلى
الأنصار وأسمه حولى وكان قبل نزوله رفع النساء والزراى والأموال
بأعلى الجبل وأتى بنفسه لينظر فى الأمر وذكر أسماعيل عبدالقادر
الكرديانى أنها (فلما تحقق للأصحاب خيائته أسروه وأخذ عبدالرحمن
النجومى هذا الرجل معه ليدله على مكان أهله فى الجبل فامتنع عن ذلك
فأمر عبدالرحمن النجومى بضرب عنقه . فقتل) (٥).

فى أثناء تمرد الشيخ صالح زعيم الكبابيش أرسل عددا من رجاله
لأحضار السلاح والذخيرة من جيش الحدود التابع للخيوى فعادت
القافلة محملة بالسلاح والذخيرة وفى رفقتها التاجر المغامر نيفلد
النمساوى وكان عبدالرحمن النجومى يترصده القافلة إلى أن أطبقت قوة
من رجاله عليها فاقتتلوا معها ووقع فى أسرهم ٤٣ رجلا من بينهم نيفلد
شق عبدالرحمن النجومى شقا فى سوق دنقلا وأعدم الأسرى جميعهم
عدا النمساوى ودفنهم فيه وذكر النجومى فى خطابه للخليفة أنه حكم
عليهم بالاعدام (قهرأ لسيدهم المخذول وأرهابا لغيرهم) (٦).

(٥) سعادة المستهدى ص ٣١٢ .

(٦) تاريخ كردقان السياسى ص ١٠٩ ، نعوم شقير ص ٧١٨ ، إبراهيم فوزى ص ٩٢ ،

سلاطين ١٤٦ .

الجزور التاريخية للتقاليد العقابية فى دولة المهديّة

نعالج فى هذا الفصل متابعة جذور التقاليد العقابية فى دولة المهديّة. فقد تلخّصت وسائل تنفيذ الاعدام فى حقبة المهديّة فى / الموت صبراً - وعقوبة الاعدام ضرباً بالعصى / والحد بالسيف والمشنقه مع الصلب / وتقليد عرض الرؤوس المقطوعة على الجامع أو فى السوق. ويبدو أن المهديّة قد ورثت هذه الوسائل والتقاليد من الأنظمة السابقة التى حكمت فى السودان. فنجد أن الحكومات السابقة قد مارست مثل هذه الوسائل. ونحاول فيما يلى تتبع هذه العقوبات وتاريخها مع التعريف بها وبتأثيرها.

١ / الموت صبراً:

فى هذه العقوبة يمنع المحكوم عن الطعام أو الشراب أو منهما معاً إلى أن يموت ومن هنا جاءت تسميتها بالموت صبراً فهو صبر على الجوع والعطش.

وهى كما هو واضح موت بطئ يتضمن قدراً مهولاً من العذاب ويترتب على هذه العقوبة تعرض الجسد لالام وتغييرات فظيعة فيبدأ الجسد باستهلاك نفسه عندما ينتهى مخزونه من المواد الغذائية ويزوى شيئاً فشيئاً ، وقد يمتد الأمر لأيام طويلة من العذاب قبل أن يسلم المحكوم عليه روحه . ومن وصف الخليفة عبدالله لحالة الزاكي طمل فى خطابه لمحمود ود أحمد - بعد موت الزاكي - تتبين لنا فظاعة الحالة التى يؤول لها الجسد من هذه العقوبة البشعة « أنه هلك فى السجن على

صفة فظيعة وحالة شنيعة وأنه بمجرد خروج روحه شعلت النار في جسده وأسود وجهه والعياذ بالله» ولا شك إذا تغاضينا عن اشتعال النار في جسد الزاكي وأخذنا باقى اللوحة يتبين لنا لأى درجة تحول جسده .

وبالنظر إلى تاريخ هذه العقوبة فى السودان نجد أنها قد عرفت فى عهد السلطنة الزرقاء إذ لقي عدد من الرجال مصرعهم بهذه الطريقة على يد أولى الأمر فى السلطنة . فيذكر كاتب الشونة عن من مات فى فترة حكم الوزير الرابع الشيخ ناصر ولد محمود شيخ الهمج والقابض الفعلى على زمام الأمر «أولا قبض الفقيه حجازى بن أبى زيد وقتله عطشا وقتل الفقيه نجدى خنقا وقتل جماعة الحضارمة فليل عطشة حجازية وخنقة نجدية وذبحه حصرية»^(١). إذن فقد كانت عقوبة يضرب بها المثل .

ويذكر كاتب الشونة أن «الشيخ عدلان قد قتل الملك محمد ود نمر بالحديد صبراً عندما ظفر به»^(٢). وهى فى ظننا المنع من الغذاء مع التقييد بالحديد .

ويذكر كاتب الشونة فى سرده لأحداث سنة ١٢٢٠ هجرية «وفىها قبض الشيخ جماع ابن الشيخ الأمين ، قبضه أخوه ومات صبراً»^(٣) وذلك يوافق سنة ١٨٠٥ / ١٨٠٦ .

ومن هذه الشواهد يتبين لنا أن الاعدام صبراً من وسائل العقاب المعروفة فى عهد السلطنة الزرقاء وبعثه مرة أخرى لحيز الوجود نظام الخليفة عبدالله ونلاحظ أن هذه العقوبة قد اختفت فترة حكم التركية السابقة .

٢ / الاعدام ضرباً بالعصى :

فى تنفيذ هذه العقوبة يحيط عدد من الرجال بالمحكوم عليه

(١) مخطوطة كاتب الشونة ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ .

وينهالون عليه ضرباً بالعصى حتى تفيض روحه ، ولا تفيض روح الإنسان بسهولة فى هذه العقوبة الا إذا تهشمت جمجمته منذ الضربات الأولى ، وفى الغالب أن تهشم عظامه وأضلاعه وأطرافه ويتعرض للعذاب إلى أن يسعفه الموت . وفيما يبدو لا تقيد الضحية بل تترك طليقة تتناوشها العصي من كل جانب وتحصرها فى دائرة الضرب .

وتبدو بشاعة هذه العقوبة حين رفض الأمير عبدالله ود إبراهيم تنفيذ أمر الزاكي طمل بقتل السيد عبدالقادر ساتى والسيد محمد عبدالكريم بها متعللاً بأنهما من أهل المهدي وقال له : « ما أظن أن إنساناً فيه خير يرضى بأن يتولى تنفيذ هذا الحكم ويشهد قتل ناس من أهل المهدي ^(٤) » وقد بكى الأمير عبدالله حين رأى الجثتين بعد تنفيذ الحكم .

وفى بحثنا عن تاريخ هذه العقوبة فى السودان لم نعثر الا على عقوبة واحدة شبيهة بها وقد نص عليها فى قانون دالى لدى الفور فقد جمعت الأحكام العرفية فى سلطنة الفور بين دفتى كتاب واحد عرف بقانون دالى وقد سنت العقوبة لمواجهة جريمة تقوم على خرافة قديمة عند بعض العجائز مفادها أنه لا يخصب لهن زرع الا إذا دفن فى الأرض شخصاً يقتلنه مسموماً بسم حية . فكانت العقوبة على هذه الجريمة باعظم عقاب وذلك بتصدير مال القاتلة إلى خزانة السلطان واحراق بيتها ثم نفها بحصير من شوك وضربها بالعصى إلى أن تموت ^(٥) .

فهى أقصى عقاب فى مواجهة جريمة ولم ينقل التاريخ عقوبة مشابهة لكن ما يجعلنا نميل إلى القول بأن هذه العقوبة معروفة لدى الفور ، أنه من ضمن كتائب جيش سلطان الفور السلطان تيراب كانت توجد كتيبة من حملة النبابت تقف فى الترتيب مباشرة أمام قلعة السلطان فى جيشه

(٤) جهاد فى سبيل الله ص ١٧٧ .

(٥) نعم شقير ص ١٨٠ .

وليس من المستبعد أن يكون الخليفة قد نقل هذه العقوبة عن سلاطين الفور خاصة وأنه من المنطقة الواقعة تحت نفوذهم ومن الممكن أن يتمثل تراثهم العقابى .

٣ / الصلب :

عقوبة الصلب أختص بها المكذبين لأمر المهدي (الجرائم العقائدية) وقد نفذت على محمد نور الفادنى والشيخ محمد عبدالماجد وتجد مصدرها من عقوبة الحراة فى الشريعة الإسلامية .

٤ / الحد بالسيف ، المشنقة وعادة تعليق الرؤوس :

وهذه وسائل اعدام شائعة فى كل العهود وعرف السودانيون المشنقة مع دخول حكم التركية السابقة وأول من قتل بها الحاج على ود تمساح من أهالى بربر^(٧) أما عادة تعليق الرؤوس فقد كانت أيضاً ميراثاً من عهد التركية السابقة .

ونذكر من بين من حزت رؤوسهم وجلبت إلى ام درمان فى عهد الخليفة عبدالله لتعلق فى الجامع أو فى السوق الشيخ مادبو على / وادم محمد البرقاوى وامراء الرايات المصدقين به فى ادعائه نبوءة عيسى عليه السلام / وأسأغة شقيق أبى جميزة .

(٦) نعوم شقير ص ١٥٩ .

(٧) مخطوطة كاتب الشونة ص ٨٨ .

مراجع عربية

- (١) مخطوطة كاتب الشونة، أحمد بن الحاج أبو على، تحقيق الشاطر بصيلى وزارة الثقافة والارشاد القومى، القاهرة ١٩٦١م
- (٢) تاريخ ملوك السودان، تحقيق د. مكى شببيكة، مطبوعات كلية غردون التذكارية، الخرطوم ١٩٤٧م
- (٣) تاريخ السودان، نعوم شقير، تحقيق د. محمد ابراهيم ابو سليم دار الجيل بيروت، ١٩٨١م
- (٤) السودان فى قرن، د. مكى شببيكة، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦١م
- (٥) السودان عبر القرون، د. مكى شببيكة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٤م
- (٦) السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الاستقلال ١٨٢١ - ١٩٥٣ د. زاهر رياض، معهد الدراسات الافريقية ١٩٦٦م
- (٧) على تخوم العالم الاسلامى، حقبة من تاريخ السودان (١٨٢٢ - ١٨٤١) الجزء الاول، ترجمة عبد العظيم محمد أحمد عكاشة المطبوعات العربية للترجمة والنشر الخرطوم الطبعة الأولى ١٩٨٧م
- (٨) على تخوم العالم الاسلامى الجزء الثانى، ترجمة ثريا الزين صفيرون المطبوعات العربية للترجمة والنشر
- (٩) الحكم المصرى فى السودان ١٨٢٠ - ١٨٨٥ د. محمد فؤاد شكرى دار الفكر العربى ١٩٤٧م
- (١٠) السودان بين يدى غردون وكتشنر ابراهيم فوزى باشا مطبعة

- (١١) السيف والنار سلاطين باشا الطبعة الثانية المطبوعات العربية للتأليف والترجمة. (١٢) الصراع بين المهدي والعلماء د. عبد الله علي ابراهيم شعبة ابحاث السودان كلية الاداب جامعة الخرطوم الطبعة الأولى ١٩٦٦م
- (١٣) قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربى د. عبدالمجيد عابدين.
- (١٤) النيل الازرق آلن مورهد ترجمة ابراهيم عباس ابو الريش دار الثقافة بيروت ومكتبة النهضة الخرطوم الطبعة الاولى ١٩٦٦م.
- (١٥) جهاد في سبيل الله - مذكرات علي المهدي - تقديم الصادق المهدي اشرف علي اعداده عبد الله محمد أحمد.
- (١٦) ملامح القاهرة في ١٠٠٠ عام جمال الدين الغيطاني/ دار الهلال ١٩٨٣
- (١٧) تاريخ عجائب الآثار في تراجم الاخبار عبد الرحمن الجبرتي.
- (١٨) منشورات المهدي د. محمد إبراهيم ابو سليم الخرطوم ١٩٦٩
- (١٩) الآثار الكاملة للإمام المهدي خمسة مجلدات تحقيق . محمد إبراهيم ابو سليم دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٠ وما بعدها.
- (٢٠) تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠ - ١٩٥٥ د. محمد سعيد القدال شركة الامل للطباعة والنشر الخرطوم ١٩٩٣.
- (٢١) تاريخ كردفان السياسى في عهد الخليفة عبد الله ١٨٨٥ - ١٨٩٩ عوض عبد الهادى رسالة ماجستير ١٩٧٢ كلية الآداب قسم التاريخ (بالآلة الكاتبة). «تمت طباعة الكتاب بواسطة وزارة الثقافة ١٩٧٣».

- (٢٢) الإسلام والسياسة في السودان ١٦٥١ - ١٩٨٥ د. محمد سعيد القدال دار الجيل لبنان، الطبعة الاولى ١٩٨٢ .
- (٢٣) مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي (١٤٥٠ - ١٨٢١) د. يوسف فضل جامعة الخرطوم ١٩٨٩ .
- (٢٤) الحركة الفكرية في المهديية د. محمد إبراهيم ابو سليم الطبعة الثالثة ١٩٨٩ .
- (٢٥) تاريخ دار فور السياسى د. موسى المبارك قسم التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم ١٩٧٣ .
- (٢٦) المقاومة الداخلية لحركة المهديه (١٨٨١ - ١٨٩٨) محمد محجوب مالك دار الجيل بيروت .
- (٢٧) سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدي اسماعيل عبد القادر الكردفانى تحقيق محمد إبراهيم ابو سليم الطبعة الاولى ١٩٧٢ الدار السودانية للكتب ودار الفكر بيروت .
- (٢٨) المجلة التاريخية المصرية العدد الأول مايو أكتوبر ١٩٤٨ .

مراجع إنجليزية

- 1.The MAHDIST STATE IN The SUDAN 1881, P.M.HOLT 1958 Oxford
2. Egypt in The Sudan , Royal institute of international Affairs 1959.
3. The Biographical Dictionary of the Sudan, oxford 1967.

٥	تقديم
٧	المقدمة

القسم الأول : الاعدامات والتصفيات فى دولة التركية

الفصل الأول : السمات العامة للسياسات العقابية فى

١١	الحكم التركى
	الفصل الثانى :

٢٦	١ / اعدامات الملحقين بجهاز الدولة من عسكريين ومدنيين
٣٥	٢ / اعدامات فقهاء الطرق الصوفية
٣٨	٣ / اعدامات الأسرى

الفصل الثالث :

٤٠	المثلة
----	--------

٤٧	الفصل الرابع : جذور التقاليد العقابية فى الحكم التركى
----	---

القسم الثاني : الاعدامات والتصفيات الفردية

والجماعية فى دولة المهديّة ١٨٨٥ / ١٨٩٨

٥٣ الفصل الأول : مصادر التجريم والعقاب فى دولة المهديّة

٦١ الفصل الثانى : الاعدامات فى مواجهة الجرائم العقائدية

الفصل الثالث : الاعدامات والتصفيات فى مواجهة

٧١ نزع الإستقلال

الفصل الرابع : الاعدامات والتصفيات فى الصراع

٨١ حول السلطة

٨٩ الفصل الخامس : اعدامات كبار موظفى الدولة

الفصل السادس : اعدامات تمردات الجهادية فى

٩٧ حقبة المهديّة

١٠١ الفصل السابع : اعدامات الأسرى

الفصل الثامن : الجذور التاريخية للتقاليد العقابية

١٠٤ فى دولة المهديّة

١٠٨ قائمة المراجع :

